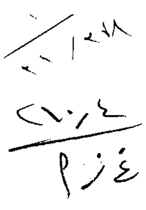
أباطيل المساواة التامة

بين الرجل والمرأة عند دعاة التحرر



إعداد
زكى على السيد أبو غضة



أباطيل المساواة التامة

بين الرجل والمرأة عند دعاة التحرر

أبو غضة، زكى على السيد

أباطيل المساواة التامة بين الرجل

والمرأة عند دعاة التحرر

إعداد : زكي على السيد أبو غضة

المنصورة دار الوفاء للطباعة

والنشر والتوزيع ٢٠٠٧ ص ٩٥ ، ٢٠ سم

تدمك ٠ ـ ٥٥٨ـ ١٥ـ ٩٧٧

رقم الإيداع :٢٤٤٢٨/ ٢٠٠٧

I.S.B.N- 977-15-558-0

١ ـ المرأة فى الإسلام

٢ ـ تحرير المرأة

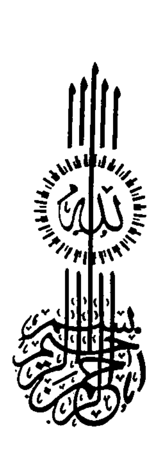
أ ـ العنوان ٤, ٢١٠

أباطيل المساواة التامة

بين الرجل والمرأة عند دعاة التحرر

إعداد

زكى على السيد أبو غضة


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل من يتغنى ويتمنى ويدعو للمساواة التامة بين الأشياء أذكره بقول الله تعالى :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٧] .

مقدمة

هذه الدراسة هى اقتباس من بعض كتبنا « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين، مساوئ تحرر المرأة فى العصر الحديث ، اتفاقية إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر ـ الأخير ـ «تحت الطبع » وهذه الكتب ضمن موسوعتنا المرأة فى القرن الحادى والعشرين بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

وقد رأينا إفرادها فى كتيب قائم بذاته ، نظراً لأهمية موضوعها ومواكبته للأحداث الجارية طامعين فى سرعة تداوله ، راجين كثرة قرائه، وذلك بأقل تكلفة مادية ممكنة .

داعين المولى عز وجل :

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩] .

المؤلف

زكى على السيد أبو غضة

توطئة :

المساواة التامة بين الرجل والمرأة فى فكر دعاة التحرر

المساواة لفظ حبيب إلى القلوب ، لأنه يعنى العدالة ، والسواء، العدل قال الحكم العدل : ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] أى عَدْلٌ ووسط فيما بين الفريقين (١).

وحتى تتحقق المساواة التامة المطلقة بين عدة أطراف ، فلابد من التطابق والتشابه الكامل بين هذه الأطراف ، الذى يشمل الأحوال المادية والمعنوية والوظيفية والبيئية وغير ذلك ، وذلك قد يكون من المحال وعلى ذلك فالعدالة المطلقة حلم صعب المنال فى واقع الحياة ، ولذلك فقد أمرنا الحكم العدل بأن نتحرى العدل فى كل أحوالنا فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] . وقد نهانا عن الظلم فقال جل شأنه فى حديث قدسى: « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا » (٢) .

والعدل في غير موضعه هو الظلم بعينه ، وبالرغم من هذا إلا أن

---

(١) مختار الصحاح : ص٣٢٣ طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٠م.

(٢) الحديث عن أبى ذر : رواه مسلم وهو حديث صحيح .

دعاة مـــساواة المرأة بالرجل يتمـادى بعضهم فـيحاول إثبات ســمو المرأة كجنس عن الرجل وهدفـهم هو الحصول على مزايا ومكاسـب وحقوق للمرأة لا تناسبـها وقد تتـسبب فى مهـانتها ، وتنال من أنوثتها فـتصبح مســخًا آدمـيًا لا هو مــن الرجال أو النســاء وهو ما أطلق عليـه الجنس الثالث.

وللأسف فبعد أن كانت الأصوات هامسة فى حياء أصبحت تصرخ فى سفور ثم تعوى فى فجور ، وشاركت المنظمات الدولية دعاة التحرر السقيم العقيم فى مطالبهم ، وطـغت حتى إنها اعترفت بحق النساء فى الزنا بالتراضى ، وفى الشــذوذ الجنسى وبلغت الحرية شأوًا حقـيراً حتى سُمح واعترف بزواج امرأة بأخــرى ورجل بمثله ، وطولب بقيادة النساء للأســرة بدلاً من الرجل ونـسب المولـود للأم بدلاً من الأب ، ثم الحلم الكبير بـسيادة النساء للعالم وحكمهم لأرجائه .

وهذه الدراسة تشمل مبحثين :

المبحث الأول : آراء دعاة التحرر فى المساواة بين الرجل والمرأة.

المبحث الثانى : دعاة التحرر ومطالبهم الشاذة .

المبحث الأول

آراء دعاة التحرر فى المساواة بين الرجل والمرأة

المبحث الأول

آراء دعاة التحرر فى المساواة بين الرجل والمرأة

تعددت هذه الآراء وتنوعت ما بين شبه المعتدل إلى المنحرف ، ومنها من يعرض رأيه على استحياء وآخرون يعرضونه بلا حياء . والجميع فى الغالب ـ لا يعترفون بأحكام الأديان والبعض لا يعتنق دين بعينه ـ وإن انتسب إليه كذر الرماد فى العيون ـ وفى جميع الأحوال تلك الآراء يكمل بعضها بعضًا .

الرأى الأول : الفروق بين الرجل والمرأة سببها استعباد الرجل للمرأة :

فى الواقع أن أصحاب هذا الرأى كثيرون ومنهم .

١ ـ قاسم أمين :

رأى أن الفروق بين الجنسين بعضها فى صالح الرجل والآخر فى صالح المرأة ومجموع كل منهما يساوى الآخر ، وسبب الفروق فى صالح الرجل هو استعباد الرجل للمرأة على مدى التاريخ ، ويسترشد برأى العالم « مانتجازا » الذى يقول :

« إن السبب فى أهم ما تختلف فيه المرأة عن الرجل من الجهة الأدبية « الثقافية » ، هو الاستعباد الذى استولى على المرأة زمانا طويلاً ، حيث تغلب الرجل على المرأة فى الطبقة السفلى « الجسمية »

وبقوة العضلات ، وفى الطبقات الأخرى العقلية بعلو معارفه وتربيته ، وهذه المنزلة المنحطة قضت على المرأة بأن تستعمل حيل الرقيق لتدافع عن نفسها ، ويظهر أن الرجل يمتاز عليها بقوة عزيمته وزيادة الثبات فى أعماله ، ولكنها تمتاز عليه فى قوة الإحساس وتحمل الآلام ، وهى تصبر على الأمراض والعمليات الجراحية صبرا يعجز عنه الرجل ، وربما كان السبب فى ذلك أنها أقل أثرة من الرجل أو أنها اعتادت على الاستسلام والخضوع (١) .

وتمتاز المرأة على الرجل أيضا بأنها أضعف شهوة منه . فالحب عند الرجل ميل شهوانى إلى استيفاء اللذة الجسدية ، والحب عند المرأة وداد قلبى غايته امتزاج الروحين ، واستدل على ذلك بأن الرجال يستعملون جميع أنواع الحيل والخديعة مع النساء لاستمالتهن ، والكثير منهن مع ذلك يدافعن عن عرضهن ويتغلبن على شهواتهن وقال : إنه إذا عكس الأمر وفرضنا أنه أبيح للنساء أن يستعملن مع الرجال لاستمالتهم ما يستعمله هؤلاء الآن مع النساء فربما لم يستطع رجل أن يحافظ على عفته.

وقال : « إن حب المرأة للخير من المألوفات المشهورة أما الرجل فيسود عنده حب النفس ، لذلك تراه يفكر أولا فى نفسه ثم فى أولاده، بخلاف المرأة ، فهى تفكر أولا فى غيرها ثم فى نفسها، فهم

---

(١) لو وقف قاسم أمين عند هذا الحد لأيدناه ، ولكن هذا الكلام مقدمة لما سيأتى بعد ذلك.

الرجل أن يكون سعيدا ، وهم المرأة أن تجعل الغير سعيدا ، وهذا الأحساس يشاهد فى جميع أعمال الحياة صغيرها وكبيرها ، وأعظم مثال لإيثار المرأة غيرها على نفسها هو حب الأم لولدها ، فهى تحبه أكثر مما يحبه أبوه ، وتحبه مهما كانت عيوبه بل يمكن أن يقال أنه كلما كان والدها سيء البخت زاد حبها له ، والأب على عكس ذلك ».

فالمرأة فى رأى أعظم العلماء وأدقهم بحثا مساوية للرجل فى القوى العقلية ، وتفوقه فى الإحساسات والعواطف ، وإنما يظهر للناظر وجود فرق عظيم بينهما فى العقل لأن الرجال اشتغلوا أجيالا عديدة بممارسة العلم فاستنارت عقولهم وتقوت عزيمتهم بالعمل بخلاف النساء فإنهن حرمن من كل تربية ، فما يشاهد الآن بين الصنفين من الفروق هو صناعى لا طبيعى .

لا نريد بهذا التساوى أن كل قوة فى المرأة تساوى كل قوة فى الرجل وكل ملكة فيها تساوى كل ملكة فيه ، ولكنا نريد أن مجموع قواها وملكاتها يكافئ مجموع قواه وملكاته وإن كان يوجد خلاف كبير بينهما ، لأن مجرد الخلاف لا يوجب نقص أحد المتخالفين عن الآخر[1].

والملاحظ أن قاسمًا أوضح الفروق بين الرجل والمرأة ، ولكنه حاول الادعاء بأنهما ليست فطرية « طبيعية » ولكنها بسبب ظلم الرجل للمرأة عبر التاريخ ، وهو فى ذلك غير منصف .

---

(١) قاسم امين : المرأة الجديدة ، ص٢٨ ، ٢٩ .

لم يثبت خلال أى مرحلة من مراحل التاريخ حتى التى ادعى تفوق المرأة فيها أنها اقتبست خصائص الرجل ولو على سبيل الاستعارة المؤقتة، فالخلافات والفروق الجنسية منذ الخلق وسوف تظل، كما أننا لا نرى ـ ما يدعيه ـ من أن المرأة أضعف شهوة من الرجل، فهى أقوى ، وربما حبها وعشقها وحرصها ورغبتها فى الأمومة، هى من أقوى أسباب شدة شهوتها ، ومعلوم أن المرأة لو اشتهت رجلاً فنادرا ما يستطيع الفكاك من شباكها ، وهى لا تسقط فى شباك الرجل إلا برغبتها ـ ماعدا قليلات الخبرة البعيدات عن تعاليم الأديان والأخلاق القويمة.

وأسلوب اغراء المرأة للرجال لا يعتمد على الوعود بالزواج ـ كما يفعل الرجال أو الكلام المعسول ، ولكن بالتزين والتجمل والدلال ، وحيل الإغراء والإغواء والغرام . وصدق القائل يتمنعن وهن راغبات.

وكم من رجل قاوم إغراء النساء فى صمت ؟! وكم سقط فى غوايتهن بعد تردد وتمنع ومقاومة شيطان .

بل إن مغريات الإنسان الذى توقعه : فى مزالق البعد عن الله جمعها الرسول فى قوله : « واتقوا الدنيا واتقوا النساء».

والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن الآية الوحيدة ـ حسب علمى ـ التى قدم فيها النساء على الرجال هى آية الحدود في الزنا حيث يقول تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور:٢] ، فبدأ بالزانية وتلك إشارة لطيفة بأن أغلب الزنا بإغراء من النساء ، فهن يطاردن الرجال فى صمت رهيب . فإن كشف أمرهن ادعين أنهن ضحايا ذئاب بشرية .

٢ ـ رأى د . نوال السعداوى :

هى من أنشط الداعيات لتحرر المرأة ومن أجرئهن ، وتعرض آرائها فى صراحة تامة ووضوح مهما قابلت من انتقادات ، فهى لا تعترف بسلطان دين أو حُرمة تقاليد ، ومما قالته محاولة إثبات ظلم الرجال والمجتمع للنساء .

« مع صعود سلطة الأب البدائى الذى اكتشف أبوته ودوره فى تكوين الجنسى ، ومع تزايد رغبته فى توريث أطفاله ما يفيض من أملاكه ، بدأ الأب تحت اسم الإله الجديد المتصر على الآلهة القديمة يفرض أحكاما على المرأة تقيد من حريتها الجنسية أساسًا ، لقد أدرك الرجل أن أبوته للأطفال لا يمكن أن تكون معروفة ومؤكدة إلا إذا فرض على زوجته ألا تتزوج وألا تمارس الجنس مع رجل آخر غيره ومن هنا نشأ النظام الذى يفرض على المرأة زوجًا واحداً ، على حين ظل الرجل متحرراً من هذا القيد يمارس تعدد الزوجات ، كما يشاء ، لم يكن لهذا النظام الأخلاقى المزدوج أن يسود ويستمر دون قمع النساء بكل أشكال السلطة المتاحة ، وتحتاج السلطة دائمًا إلى العنف أو القوة للسيطرة وفرض قوانينها المزدوجة غير العادلة ، لا يمكن التحكم في الجسد الإنسانى دون التحكم فى العقل والروح ، هكذا تم تحريم الفكر أو الفلسفة أو الدين على النساء والعبيد » (١) .

(١) توأم السلطة والجنس، ص١٢٥ ، دار المستقبل العربى ، سنة ١٩٩٩ .

ونحن نردها إلى جادة الصواب فتقول لها :

الرجل البدائى لم يكتشف أبوته فجأة فقد بدأت أبوه أدم لحواء منذ بداية الخلق ، فقد خلقت المرأة من الرجل آدم ، ثم توالت ذرية آدم منذ البدء والرجل يعرف أبوته تمام العلم .

لم يقيد الرجل البدائى ـ كما تدعى ـ حرية المرأة فى الزواج بغيره والإنجاب من الزوج الجديد ، بل كانت حرية المرأة فى هجر زوج لا ترغبه أكبر من الآن ، حيث لا وثائق زوجية مكتوبة ، أو أديان تُحرم الطلاق ـ كالمسيحية ـ ولكن لم يسمح للمرأة بالجمع بين أكثر من زوج فى آن واحد ، وذلك من قبيل الرقى العاطفى والإنسانى لها وتيسير حياتها ، فلا يعقل أن تتزوج امرأة أكثر من رجل وتستطيع الوفاء بحقوق كل منهما فى نفس الوقت ، ولا أقصد الجنسية فقط بل كافة حقوق رعاية البيت والأسرة .

ولو درسنا أسلوب الحيوانات الراقية المحترمة لوجدنا أن الذكر غالبًا لا يكتفى بواحدة فقط ، ولا يوجد أنثى ترتضى مشاركته أكثر من ذكر جنسيًا ، فما حرمته على المرأة هو تعدد الأزواج فى آن واحد ، وليس عدم الزواج إلا بواحد فقط ، وسبب ذلك ليس الإرث فقط وإلا لسمح الزوجان الفقيران لرجل آخر بمعاشرة الزوجة للإنجاب !!

ولا يجب أن ننسى أن الكاتبة تتكلم عن تحكم الرجال فى عقل وروح النساء فكريا ودينيا وثقافيًا فى وقت لم يكن كل الرجال أساسًا يتلقون هذه التعاليم ، وإنما نخبة منتقاة منهم .

ولا شك أن عمل المرأة المنزلى بماله من أولوية ابتعد بالنساء عن كثير من العلوم والعنون (١) .

الرأى الثانى : هناك مساواة بين الرجل والمرأة : المساواة النفسية والعقلية والجسدية :

تقوم فكرة هذه المساواة على أساس أن مواهب المرأة العقلية من ذكاء ونبوغ وعبقرية لا تقل عن الرجل وكذلك الخواص النفسية .

ومن أصحاب هذا الرأى:

١ ـ رأى : « جان كوندورست » :

« لو أننا قارنا طاقة النساء المعنوية بتلك التى للرجال ، وراعينا ما تعرضت له النساء من اضطهاد اجتماعى وقانونى وجنسى، وتذكرنا عدد النساء اللائى ، تعرضن للسخرية أو التعذيب أو القتل ، وصمودهن وتمسكهن بمبادئهن وشجاعتهن وبسالتهن ، وعظمة عقولهن ، فسوف نجد أننا لا نملك بأى حال من الأحوال أى دليل على أن المرأة أقل من الرجل (٢) .

« ويشير « تورانس » إلى أن قلة عدد النابغات من النساء ليس لفروق جنسية ـ كما عرف خطأ ـ ولكن لأن الإبداع يتطلب الحساسية

---

(١) كان علماء اليهود يمنعون النساء من تلقى تعاليم التوراة خوفًا من فجورهن ، حيث تحوى التوراة من القصص الإباحية الكثير .

(٢) الأنثى هى الأصل : ص٥١ .

والاستقلال ، وطبقا لقيم المجتمع ونظمه فإن الاستقلال من ميزات الرجولة فحسب ، وعلى ذلك تفقد النساء الاستقلال وتفقد معه القدرة الإبداعية » (١) .

ونحن لا نرى أن المرأة أقل من الرجل عقليا ونفسيًا ، فعقل المرأة وذكاءها وإن قل فى معدله عن الرجل فلن يؤدى ذلك إلى عدم نجاحها فى شتى أنواع الأعمال التى تناسبها كامرأة حتى خارج بيتها ، فليس كل الرجال العاملين فى مختلف الوظائف عباقرة شديدى الذكاء ، والمرأة التى تفلح فى تكوين أسرة سعيدة وتنجح فى المحافظة عليها ، وتربى من الرجال العظماء ومن البنات الفضليات ليست أقل ذكاء أو إبداعًا من أكبر أستاذ جامعة .

كما ترى أن خواص النساء النفسية من بر وحنان وتحمل مشقة وصبر وتضحية ورضا قد تفوق الرجال فى بعضها مما يجعلها لا تقل عن الرجال أبدًا ولكن فى حدود تحقيق وظيفتها الرئيسية والأساسية وهى الزوجة الصالحة والأم البارة .

والتاريخ يثبت لنا العباقرة من النساء اللاتى لا يقلون عن الرجال كمدام كورى عالمة الذرة الشهيرة التى فازت بجائزة نوبل مرتين وفازت بها ابنتها من بعدها (٢) ولكن حاجة الإنسانية لعباقرة الأمهات أكثر من عباقرة العلم والاختراعات . فمهما بلغ الرجال من عبقرية فلن يستطيع

---

(١) المرأة والجنس : ص٨٣ .

(٢) لا يجب أن ننسى دور زوجها عالم الذرة أيضا فى مساعدتها.

أعلاهم علمًا وأكثرهم ذكاء ، وأنضجهم عقلا أن يكون أما بارة.

واليوم نرى النابغات من النساء كثيرات ولكنهن نبوغهن خارج البيوت، وفشلن داخلها ، فكانت النتيجة ضياع أجيال سابقة وفناء أجيال لاحقة، خلقيا ونفسيا وصحيا .

٢ ـ رأى د . نوال السعداوى :

وتحاول د. نوال إثبات أن المرأة أقوى نفسيا من الرجال فتقول:

ويتجه علم النفس الحديث إلى إلغاء كل تلك الفروق الضخمة المصطنعة بين نفسية المرأة ونفسية الرجل ويرى بعض العلماء أن الإنسان مزدوج الجنس نفسيًا كما هو مزدوج بيولوجيًا وقد وصف ينوهان نوعين من الشعور داخل الإنسان :

الشعور الأبوى والشعور الأموى وإن لكل إنسان إمكانيتين إحداهما ذكرية والأخرى أنثوية . ويرى بعض العلماء أن تكوين المرأة النفسي كتكوينها البيولوجى أكثر متانة من الرجل وتعتبر المرأة فى رأى هؤلاء الجنس الأقوى وليس الجنس الأضعف كما أشيع » (١) .

ونحن نقول :

الإنسان ليس مزدوج الجنس بيولوجيا ، فالأزواج يعنى تساوى الخصائص المشتركة بين الجنسين وهذا ما لم يحدث ولن يحدث إلا فى حالات الجنس الثالث « الخنثى » ومع ذلك ففى هذه الحالة قد يطغى جنس على آخر فيكون أحد الجهازين التناسليين كاملا والآخر ناقصًا .

(١) المرأة والجنس : ص٨٦ .

ولا شك أن المرأة عاطفيا ونفسيا قد تكون أقوى من الرجل فيما يختص بالصفات التى تكفل لها القيام بوظيفة الأمومة بصفة خاصة ، هى صفات الصبر واللين والرحمة والحنان أما الرجل فصفاته النفسية فى هذا المجال أقل وإن عملت فى مجالات أخرى ، كتحمل صعاب الحياة ومشاكل الاختلاط فى المجتمع .

كما تحاول د. نوال إنكار الفروق الجسدية الجنسية بين الذكر والأنثى أى الرجل والمرأة فتقول :

« وإذا كان الجهاز التناسلى يختلف فى بعض أجزائه ووظائفه فى المرأة عن الرجل فإنه يتشابه فى البعض الآخر وذلك بسبب أن أعضاء الرجل هى أعضاء المرأة من حيث الأصل التشريحى،لكن عضو التناسل عند الرجل زاد نموه وحجمه عن عضو المرأة الذى ظل صغيرا ليكون البظر،وأعضاء المرأة الخارجية يقابلها كيسا الرجل الخارجيان، والخصيتان هما المبيضان ولكنهما هبطا من البطن إلى ما بين الفخذين وهكذا.

وإذا كانت وظيفة الخصية هى إفراز الحيوانات المنوية ووظيفة المبيض هى إفرار البييضة ، وإن الجنين ينمو فى رحم المرأة وليس فى رحم الرجل ، فليس هذا الاختلاف فى وظيفة عضو من الأعضاء مبرراً لكل هذه الفروق الضخمة التى وضعت بين الرجل والمرأة ، وبالمثل فإن الزيادة فى نسبه الميلانين بجلد الزنوج ليست مبرراً للفروق الضخمة التى وضعت بين البيض والسود » (١) .

(١) المرأة والجنس : ص٧٢ ، ٧٣ .

ونحن نردها إلى جادة الصواب فنقول :

الأصل التشريحى لأعضاء الرجل والمرأة التناسلية يختلفان اختلافًا شاسعا فالأنسجة التى يتكون منها عضو الذكورة وطبقات الخلايا ليست هى المكونة لبظر المرأة ، وشكل كل عضو مختلف بغض النظر عن الحجم .

وكيف نوازن بين الخصيتين الموجودتين داخل كيس يحفظهما فى درجة حرارة خاص تقل عن درجة حرارة الجسم ، والتى يتكون كل منهما من خلايا خاصة تختلف عن خلايا الأعضاء التناسلية الخارجية للمرأة ، وتدعى د. نوال أن أصلهما . التشريحى واحد !!! وأن وظيفتهما واحدة ، هذا يفرز حيوانات منوية وذاك يفرز بيضات؟؟

وكيف تنكر أن وظيفة الرحم عند المرأة وما يتبعه من حمل ٩ أشهر ثم وضع ورضاع من الصدر لمدة سنتين ، لا ينشئ للمرأة حق التكريم وعدم إهانتها بالعمل لدى الغير خارج منزلها ، وتسمى هذا فروق ضخمة !! إنها ليست فروقًا ولكنها تكريم .

أما بالنسبة لجلد الزنوج والبيض فالجلد هو الجلد مهما تغير لونه ، وإن اقتضت حكمة الخالق أن يكون جلد بعض عباده أسود ليناسب طبيعة المكان ، ويزيد قوة التجمل فى البيئة المرتفعة الحرارة ، ولم يرع رسول من الرسل أو نبى من الأنبياء سمو جنس على آخر بسبب لون الجلد ، وأول من ادعى سمو البيض على السود هم الغرب الذين قاموا

بسرقة الأفارقة من أوطانهم ليستعبدوهم فى أمريكا وأوربا ، وادعوا ، دونيتهم ، أما فى الإسلام فقد قال الرسول ﷺ : « لا فضل لعربى على أعجمى أو لأبيض على أسود ، إلا بالتقوى » ، وكانت أول شهيدة فى الإسلام سوداء زنجية ، وأول من اعتلى الكعبة المشرفة لرفع الأذان للصلاة هى أسود زنجى ، وعندما نادى الله عباده فى القرآن الكريم فكان يقول : « يا أيها الناس . . . » مساويا بين الرجال والنساء من كافة الجنسيات والألوان واللغات .

الرأى الثالث : الأنثى هى أصل الحياة وليس الذكر :

يسترشد دعاة هذا الفكر بنظريات علمية جلدية لم يثبت صحتها وهى دائمة التغير حيث تمر على الفكر الإنسانى مر السحاب .

١ ـ رأى « ليسترووورد » :

لو لاحظنا بعض النباتات كالدق والسداة لوضح لنا أنه فى فصائل النباتات العليا عامة لا يكون الذكر إلا مخصبًا للأنثى فحسب . أما الأنثى فتظل وتستمر وتنضج الثمرة أما ذكور هذه النباتات تذبل وتموت بمجرد أن تفرز مادة الإخصاب فليس لهم وظيفة أخرى » .

الوظيفة الأصلية للذكر فى الحياة الأولى كان مؤقتًا وثانويًا بالنسبة لوظيفة الأنثى ، وأن هناك بعض أنواع من الذكور لم يكن يحتوى جسمهم إلا على تجويف كبير بداخله الخصية ، وأحيانًا كان يتضاءل الذكر ليصبح مادة الإخصاب فقط ، وأحيانًا لا يكون إلا خصية تعيش

طفيليًا على الأنثى .

ويقول : إنه نتيجة لعملية الانتخاب الطبيعى فإن عملية جديدة خرجت إلى الوجود ، هي عملية الإخصاب ، وقد حدثت أول الأمر بواسطة عضو داخل الكائن ذاته (الخنثى) ، ثم انفصل هذا العضو عن الكائن الأساسي وأصبح كائنا صغيراً جديداً يختلف عن الكائن الأصلي. وعاش هذا الكائن الجديد أول الأمر طفيليًا على الكائن الأصلى ثم أصبح ملحقًا به ، وحمل في كيس تطور لهذا الغرض.

وعلى هذا يقول « وورد » أن الأنثى فى الحياة منذ نشأتها الأولى هي الأصل والذكر فرع له ، وهو يتبنى من بعد ذلك نظرية أن الأنثى فى الحياة أسمى من الذكر ودورها أكثر أصالة وأهمية .

ويرد « وورد » على حجة أن بعض ذكور الطيور والحيوانات أكبر حجمًا من الأنثى وأبهى منظراً وأكثر قوة أن هذا ليس بسبب سمو الذكر، وإنما هو نتيجة الانتجاب الطبيعي الذي فرض على الذكر بواسطة قوة الأنثى الأصيلة وقدرتها على الانتخاب واختيار الأحسن فالأحسن من الذكور ، ولم يكن أمام الذكر أي اختيار سوى أن يصبح أحسن فأحسن ليرضي متطلبات الأنثى المتزايدة . ويكشف «وورد» في حقيقة ما سمي بعدوانية الذكر قائلاً : « إن المعارك بين الذكور ، رغم عنفها ، نادراً ما تسبب الوفاة . وليس حقيقيًا أن أقوى الذكور تخضع الإناث . إن الأنثى ـ حتى وإن كانت أقل من الذكر حجما وقوة ـ فهي تفرض سيطرتها وتمارس اختيارها بالقوة والإصرار والدقة نفسها كتلك الحالات

التي تكون فيهـا أكثر قوة منه . ولذلك فـإنى أرفض اصطلاح « التفوق الذكري » من أجل تلك الحالات القليلة نسـبيًا التي اكتسب فـيها الذكر حجما أو قوة أكثر من الأنثى ، أو اكتسب تلك الألوان أو الريشات التى جملته بها الأنثى . وليس هناك ما هو أكـثر زيفًا من ترديد ذلك المفهوم الذي أوحت به إلى العالم الفلـسفة الذكرية ، وهو أن الذكـور الأقوياء يهبـون هذه القوة المكتـسبـة لحمـاية الصغار وإطعـام الأنثى. إن هؤلاء الذكور فى الطيور والحيـوانات الثديية الذين اكتسبوا قـوة أو جمالاً مثل الطاووس ، والديك الرومى ، والدراج ، وديك الـفراخ في الطيـور ، والأسـد والغزال والخـروف في الحيـوانات الثـديية ، هؤلاء الذكـور لا يفعلون شيئًا لأسرهم تقـريبًا . إنها الأم ، والأم وحدها هي التي تحمى الصـغار وتطعـمهم وتحـارب من أجلهم عند الضرورة . إنهـا هي التي تثبت الشجاعة الحـقيقية ، الشجاعة فى مهـاجمة الأعداء الذين يهددون بقاء الفـصيلة. إن حيوانات كـثيرة مفـترسة تهرب من أمـام الإنسان ، والاستثناء الوحيد هو الأنثى مع صغارها . إنها الوحيدة التي تمثل الخطر للإنسـان . إن الأسد الذكـر فى الحقيقة ليس إلا جبانا ، ويتـعلم الصياد الإنسان كيف يحذر خطر اللبؤة ، وماذا يفعل الثور أو العجل أو الديك لحماية صـغاره ؟ ليـس عليك إلا أن تقترب من الفرخ الصغـير ولسوف تكون الفرخة الكبيرة هي التي تنكش ريشها تحفزًا وهي التي تتجرأ على مهاجمتك.

ويرى « وورد » أنه ليس هناك حتى الآن من سبب علمى لنعتقد أن

الإنســان تطور بطريقة أخــرى غيــر الطريقة التى تطورت بهــا الثدييــات الحيــوانات ، إلى مرحــلة تشكل وتطور جنين الإنسان إلى ذكــر وأنثى. ولا يعــرف العلم إلا قليلاً جــدًا عن تلك المرحلة البيــولوجيــة في بداية ذلك التشكل .

ونحن نصحح له فكرة فنقول :

ما يدعيه عن تفوق بعض الأجهزة التناسلية الأنثوية للنباتات مقارنة بالأجهزة الذكرية ، فتلك حقيقة ولكنها فى بعض النباتات كما أوضح ، والمؤكد أن الجــهاز الأنثوى فى النبــاتات والأشجار أكــثر تعقــيدا وأطول عمراً ، فدور الجهاز الذكرى هو التلقيح وبهذا ينتهى دوره ، أما الأنثوى فدوره يطول ويــستمر حــتى تصبح الخليــة الملقحة إمــا زهرة أو ثمرة ، وبالرغم من ذلك فالجهاز الذكرى أقــوى ، فهو ينتج الأعداد الوفيرة من حبوب اللقاح التى تكفى لتلقيح الآلاف من الخلايا الأنثوية ، وقد يعانى لتحقــيق ذلك الانتقال من مكان لآخــر ومن زمان الآخر متــخذا الهواء مطيته والماء سفينه مقاومًا لطبيــعة قاسية مهلكة ، متنقلاً من مكان لآخر ومن بيئة لأخرى حتى يحقق مهــمته فى تلقيح إناث النباتات والأشجار القابعة في مكانها فى سكون وهدوء وراحة ، انتظاراً لهذا الفارس الوافد ليهبها حق الحياة والاستــمرار ، فعمل الذكر خارج البيت وعمل الأنثى هو القرار فى البيت « النبات » .

إذن فالذكـر هو الأقوى وهو الذى يسعى تنقـلا من مكان لآخر ، عابرًا من زمـان لغيره ، حـتى يحقق للأنثى القـابعة فى بيتـها الحق فى الاستمرار فى الحياة ، وكل يُسر لما خلق الله ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فالأنثى لـم تكن يوما ما الأصل ولكـنها المشاركـة فى الاستـمرار والإعمار .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] .

وادعاء « وورد » أن الذكر كـان ضعيفًـا ثم تطور ليُرضى ويلاحق الأنثى هو خطأ بين ، فنظرية النشوء والارتقاء التى استند عليها ما زالت نظرية لم تثبـت كحقيـقة علميـة ، وقد هدمهـا الكثيـر من العلماء من أساسها ، ونحن نتساءل هل أصبح الذكور آلهة حتى يغيروا ويعدلوا من نفـسهـا ليرضـى الإناث ، ولم لم تفعل الإناث بـالمثل لترضى الذكـور والحق أن الذكور هى التى تحمى الإناث والنسل والقطيع ، ولكن الإناث أكثـر ضراوة فى الدفاع عن وليـدها والتمسك بزوجـها وهذه حقيـقة ، فحـماية الذكور عامـة ، ودفاع الإناث خاص ، ومرجع الإخـتلاف هو وظيفـة كليهـما الذى خُلق من أجـلها : ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] .

إن الله هو خالق الإنسان بمشيئتـه ولم يكن الإنسان يوما ما متطورًا وفقًا لمشيئه هو ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً

فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢ ، ١٣].

رأى د . نوال السعداوى :

« للرجل الضعيف ، القصير العمر نقول :

يتكون التركيب الوراثى للإنسان من أربعة وعشرين زوجًا من الجزئيات الوراثية تسمى « الكروموسومات » ، وهى توجد فى نواة جميع الخلايا التى يتشكل منها جسم الإنسان . . . منها ثلاثة وعشرون زوجًا كل منها من كروموسومين متشابهين تمام التشابه وتسمى هذه الأزواج المتشابهة بالأتوسومات « أو الكروموسومات غير الجنسية » وتتشابه كلها فى الذكر والأنثى.

أما الذى يحدد نوع الجنين « ذكرًا أو أنثى » فهو الزوج الرابع والعشرون وقد وُجد أن هذا الزوج فى خلية الأنثى يتكون من كروموسومين متشابهين أطلق عليهما (xx) ، أما خلية الذكر فتحتوى على كروموسوم x واحد فقط ، أما الثانى فهو أصغر حجمًا (١/ ٥ حجم x) وسمى كروموسوم y ، وبالتالى فإنه حين يخصب الحيوان المنوى الذى يحمل y البيضة فإنه يضعف نسبة الأنوثة المطلوبة لإحداث جنين أنثى وهكذا يرث الجنين الذكر مع ذكورته عددًا من الصفات المرتبطة بجنسه والتى تضعفه عن الأنثى أو تشوهه . . . وقد اتضح أن الضعف الجنسى النسبى للذكور أمام المرضى والموت مرتبط إلى حد كبير ما الكروموسوم الذكر y .

ونحن نرى خطأ ادعائها فإذا كان الكرموسوم الذى لها هو الذى يحدد الجنس فمعنى ذلك أن الذكر هو المتحكم فى الحياة بأسرها، فهو المسؤل عن إنتاج الإناث اللاتى يحافظن على النوع ، بفضل كرموسوم الذكره .

كما إننا نرى ـ كما أثبت الواقع ـ ان قرار المرأة فى البيت لا يعرضها لما يلاقيه الرجل من صعوبات ومشاكل وبلايا مضغوط خارج البيت تسبب له أمراض الكهولة المبكرة من ضغط وتصلب شرايين ، وغير ذلك مما يؤدى إلى قصر عمره ، ومعلوم أن خروج المرأة من بيتها للعمل خلق لديها أمراضًا جديدة لم تك تعانى منها قبل ، مما أدى إلى بداية تضاؤل الفرق بين عمر الرجل والمرأة .

ولا يجب أن ننسى أن العناية الإلهية جعلت عمر النساء أطول من الرجال ليستمر نبض الرحمة والمودة والحنان والعطاء من الأمهات إلى الأحفاد ، لأنهم فى حاجة إلى رعاية المرأة أكثر من الرجل . فاليتيم البائس من يفقد أمه وليس أباه ـ وهذه حقيقة .

وما ذكرته د. نوال يوضح لنا حقيقة كانت غائبة عن أكثرنا ألا وهى أن الرجل هو أصل الحياة وأصل الجنس ففى البداية خلقت منه حواء، وفى التناسل هو الذى يتحكم فى جنس حواء بواسطة كروموسومه y . وصدق تعالى حيث قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء :١] .

الرأى الرابع : المرأة أسمى وأقوى وأصل الرجل :

هناك فئة كانت قليلة بالأمس ، وأصبحت متزايدة اليوم، تدعى أن المرأة أسمى وأقوى من الرجل .

١ ـ رأى « وورد» :

المرأة البدائيـة كانت تمتلك قوة أكثـر من الرجل، بصرف النظر عن حجم الجسم ، وأنها هى التى سيطرت على الحياة والنسل لفترات طويلة جدًا من الحيـاة البشرية. وقد وضح ذلك من الدراسات الأنثـروبولوجية والتـاريخ . وقـد سـمى « وورد » هذه المراحل الأولى باسم « مـرحلة البروتوبلازم الاجتـماعى » . وقد كان اختيـار الأنثى للذكر حرًا بل هو الأساس وهو النهائي . ولا تزال بقايا هذه المجتمعات الأموية في بعض القبائل الإفريقية حتى اليوم . إن المرأة في قبيلة «أويمبا» في شرق إفريقية هي التي تحـدد العلاقة بينهـا وبين الرجل، وهي التي تخـتاره ، وحين تختاره فهو لا يستطيع أن يرفـضها . وفوق ذلك فإنها إن لم تنجب منه طفلاً خلال السنة الأولى من علاقتهما فهي تطرده وتختار رجلاً غيره . وهذه السلطة والحرية أيضًا تتمتع بها المرأة في « أوغندا » و « داهومي»، حيث تجلس النسـاء على مثل العرش الذى تجلس عليه نساء « أويمبا» .

٢ ـ رأى د. نوال السعداوى :

وتقول د/ نوال السعداوى مُدعية تحمل النساء ما لا يطيقه الرجال : «ورغم دخول أعداد كـبيرة من النساء فى مـضمار الحياة العـامة والعمل فـإن شيـئًا لم يـتغـير فى هذا الوضـع ، ولا يزال عدد الرجـال الذين يعالجون فى مـستشفيات الأمراض العـقلية والنفسية، يفوق بـكثير عدد

النساء، ولا يزال عدد الرجال الذين يهـربون من الحياة إلى المخدرات أو الانتحار أو الإجرام أكثر بكثير من النساء برغم أن المرأة أصبحت تتحمل فى الحياة أعباء مضاعفة بعملها داخل البيت وخارجه (١) .

ونحن نقول : الادعاء بأن المرأة هى التى تختـار الرجل ادعاء خالٍ من الحقـيقة فـفى عصور الهـمجيـة الأولى ـ كما يدعى البـعض ـ كان الرجل يحصل على أنثاه بالسـرقة أو القتال فالبقـاء للأقوى ، ولم يثبت مطلقا أن النسـاء كن المسيطرات على الحياة الإنسـانية الأولى، وكل من يدعى ذلك لا برهان، لديه ولكنه يحاول أن يخدم نظريته بأوهام نسجها خياله هو وأقرانه ،ووجود بعض سلطات للنسـاء فى بعض المجتمعات. المتخلفة لا يحتج به فى مواجهة المجتمعات الراقية.

ومعلوم أن النسـاء فى أوغندا وغيرها يكن كطائفة الغـجر عندنا ، يعملن ويمنحن الرجل ثمـار جهدهم حـتى يتفرغ الرجال لإسـعادهن ، فهن لسن ملكات للرجال ، ولكنهن عبيد فى خدمة الفحولة والذكورة.

إن أسباب انحـراف الرجال وجعلهم نزلاء السـجـون ومستشـفيات الأمراض العـقلية أو إدمـانهم المخدرات ، تقف وراءها المـرأة ، نصدق نابليـون عندما قـال: ابحث عن المرأة فى السـجون وفى مـستـشفـيات الأمراض العقلية .

ومع ذلك نستشهد د . نوال برأى عالم فتقول :

وقد صدق العالم النفسي الشهير « جريجوري زيلبورج » حين قال

---

(١) المرأة والجنس : ص٨٠ .

أن هذه الحقيقة ، حقيقة سمو جنس المرأة على جنس الرجل غير قابلة للشك ، وأنه لا يستطيع إدراك ذلك إلا أصحاب العقول المتحررة المتفتحة والذين ألموا بالكثير من المعلومات البيولوجية . وأنه إذا كان هناك بين الجنسين من هو شعر يومًا بأنه الجنس الأدنى بيولوجيًا ونفسيًا فهذا هو الرجل وليس المرأة .

إن هذا الشعور لدى الرجل بأنه أقل من المرأة وما ترتب على ذلك من كراهية هو الذي أوجد في الأمراض النفسية ظاهرة الكوفاد (Couvade) وتتلخص في أن الرجل المصاب بها يتمثل شخصية الأم، ويصبح هو الأم نفسها بطريقة سحرية [١] .

وتؤكد أن الفروق العضوية والنفسية بين الرجل والمرأة منعدمة ولكن استعباد المرأة هو المسؤل عن تخلفها . فتقول :

الذهنية لكل منهما ، وأن الرجل أو العبد المستعبد يظهر غباء لا يقل عن غباء المرأة المستعبدة ، وهناك أحدث المعلومات البيولوجية التى تقول إن المخ البشرى فى بداية تكوينه الجنينى داخل الرحم يكون أنثى، وأن مخ الرجل ليس فى أصله إلا مخ أنثى ثم حدثت له عملية تذكير طارئة بفعل الهرمون الذكرى ، والحال نفسه فى الجنين كله الذى ينشأ أصلًا أنثى ، وليس مزدوج الجنس كما عرف سابقًا فى علم الأجنة[٢] .

كما تقول : فدعية أن الفروق الجسدية والذهنية بين الرجل والمرأة سببها المجتمع وليست إرادة الله فى خلقه تقول: « لكن الحقائق العلمية

(١) الأنثى هى الأصل : ص٦١ .

(٢) الأنثى هى الأصل : ص٥٨ .

تثبت أن الفروق بين الرجل والمرأة فروق صناعية من صنع المجتمع بدليل أنها تتغير من مجتمع إلى مجتمع ومن عهد إلى عهد ومن ، نظام إلى نظام ، ثم إن علوم الطب والتشريح والفسيولوجيا والبيولوجى تثبت أن الإنسان مزدوج الجنس « بايسيكسوال» وأنه ليس هناك من هو ذكر ١٠٠٪ ومن هى أنثى ١٠٠٪ وكل رجل داخله امرأة وكل امرأة داخلها رجل ، وإن هرمون الذكورة والأنوثة يفرزان فى كل من الرجل والمرأة ، ولكن نسبة هرمون الأنوثة تزيد فى المرأة ، وفى الرجل تزيد هرمون الذكورة » (١) .

كما تقول :

إن علم البيولوجي الحديث أوضح أن المرأة أقوى بيولوجيا الرجل، أما القوة العضلية التى ارتبطت بالحياة القبلية فمما لا شك فيه أن الرجل كان متفوقًا ، لكنه اتضح إن هذا التفوق فى القوة العضلية كان يرتبط بوظيفة الرجل فى الحياة أكثر من ارتباطه لتكوين الرجل البيولوجى ، بدليل أن الرجل المثقف فى المدينة أقل من ناحية القوة العضلية من العامل الزراعى فى الريف ، والفلاحة المصرية أقوى من الناحية العضلية من الموظف القاهرى » .

ونحن نصحح هذه المفاهيم قائلين :

إن ادعاء شهرة عالم ليست هى الدليل على صدق نظريته، ولكنها قد تكون دليل على مخالفتها للواقع والمعهود والفطرة السليمة «خالف

(١) المرأة والجنس : ص ٧٠ ، المرأة والجنس : ص٧٨/ ٧٩ .

تُعرف» أو أن النظرية يُروج لهـا لنشر مفاهيم شاذة ، فـيم يشعر الرجل أنه أقل من المرأة؟! طالما كان هـو القائـد لهـا « القـيم» بحكم الأديان السماوية والواقع حتى فى القبائل المتخلفة فكريا وحضاريًا.

إن معاناة بعض الرجال من أمراض نفسية بسبب شخصية الأم سببها ولا شك عائلى ، فـهى دليل فشل الأم فى التربيـة والأب فى الإشراف والتوجيه ، فهذا مرض نتيجة انحرافات وليس نتيجة طبيعة الرجل.

والواقع يقول : إن غـالبية النساء تمنين فى فـترة من العمر « غـالبًا قبل البلوغ » أن يكن رجالاً ، وهذا ليس مرض وبالقطع هناك قله منهن يعانون من هذا التمنى كمرضى أما بالنسبة للقول بازدواج الجنس أى أن كلا من الـرجل والمرأة يحمل جـزءًا يسيـرًا من هرمون الآخـر ، فذاك حسـب اعتقـادى من رحمـة من الله : ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] . فالنسـاء فى حاجة إلى بعض صـفات الرجال كـقوة التحمـل والصبر ، والرجال فى حاجـة إلى بعض صفات النسـاء كالبر والحنان ، ولولا هذه الحكمـة لفشل كل منهـما فى مـهمتـه ، فيـصبح الرجال قوة طاغـية طالمة لاكابح لها من بعض الرقـة والحنان ، وتصبح النساء ضعيفات على القيام بواجب وأعباء حُسن التبعل والأمومة ، التى تحتاج قوى خاصة وصبـر وجَلَدَ مميز . فالقوة فى مرونة أفضل من القوة فى صلابة ، والصبـر والدعة والحنان والرعاية فى قوة ، خـير منها فى ضعف ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك] .

والادعاء بأن المخ البشرى يكون فى بدايته أنثى ، وكذلك الجنين ،

هو ادعاء خاطئ ، لأن ببيضة المرأة منذ تلقيحها يحدد تمامًا جنسها من ذكر أو أنثى ، والعامل المحدد لذلك الوحيد هو الحيوان المنوى للذكر ، فمعلوم كحقيقة علمية ثابتة لم يعد هناك خلاف عليها ، أن بويضة المرأة تحمل كروموسومات xx ، والحيوان المنوى يحمل x، y وهو المسئول عن كون الوليد ذكرًا أو أنثى ، فإذا لقحت البويضة XX ، بكرموسوم ذكرى X جاء المولود أنثى وإن لقحت البويضة بالـ « y » كان المولود ذكرًا ، إذن فالذكر أقوى والحلية منذ التلقيح حُدد مستقبلها الجنسى.

ومما لاشك فيه أن الفروق بين الذكر والأنثى ، الرجل والمرأة هى فروق طبيعية خلقها الله وفقا لإرادته وطبقا لمشيته حتى يستطيع كل منهما أداء وظيفته المكلف بها ، وهى ليست فروقًا صناعية أفرزها المجتمع ، والمقارنة بين رجل المدينة وامرأة الريف خاطئة لأنها ليست بين متساويين ، وإذا أردنا المقارنة لقارنا بين رجل المدينة الذى يعمل فى مجال فكرى وليس عضلى ، بامرأة عائلة ! أيهما أقوى عضليًا، كما يجب المقارنة بين المرأة التى تعمل فى الريف والرجل من بيئتها أيهما أقوى؟!

وقد أثبت العلم الحديث والواقع المشاهد الحالى أن الرجال أقوى جسدًا وعضلاً من النساء ، ففى مجال الرياضة تهتم الدول المتقدمة بالرجال والنساء رياضيا ويتم إعدادهم منذ الصغر لتحقيق البطولات ، مراعين التساوى فى ذلك بلا تفرقة بين الذكور والإناث ، ومع ذلك ، لم تستطع امرأة واحدة تحقيق أرقام بطولات الرجال ، سواء فى السباحة أو العاب القوى ، أو حمل الأثقال ، أو حتى التنس ، ولكن بعضهن تغلبن على الرجال فى رياضات خاصة تناسب النساء ، كالجمباز

الإيقاعى ، وفنون الرشاقة والجمال .

فمهما طال الزمن لن تستطيع امرأة أن تحقق ما يحمله الرجل الرياضى فى وزنها ـ من أثقال ، ولكنها قد تستطيع أن تحمل أكثر من الرجل العادى الذى لا يحترف هذه الرياضة ونفسى الأمر فى الألعاب الذهنية ، فأبطال العالم كلهم رجال ومهما تعلمت المرأة لن تصل لمستوى الرجال نظائرها حتى كرة القدم النسائية يجب على المرأة إزالة دهون من مناطق معينة [الصدر ، الأرداف ، الإلية] حتى تستطيع مزاولة هذه الرياضة بكفاءه ، إضافة إلى الاستعانة بعلاج هرمونى ذكرى يهبها قوة التحمل .

وقد سبقنا محمد فريد وجدى فقال:

نقول هنا يمكن أن يقول قائل: إن ذلك الضعف التشريحى الذى أثبته العلم نتيجة ضغط الرجل على حريتها وإجبارها على ملازمة ما يفسد صحتها. تقول : هب أن ذلك صحيح فما سبب رخامة صوتها ؟ على إن من الثابت علميا أن سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكلفون نساءهم بأعمال الحراثة والزراعة وغيرهما من أول الخليقة إلى الآن ومع ذلك فإن تلك الفروق تشاهد بعينها بين رجالهم ونسائهم . قال الاستاذ (دوفارينى) فى دائرة المعارف الكبيرة : « إن هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض متوحشى أمريكا) كما يشاهد عند سكان باريس» وعليه فلا سبيل للجدل فى هذه القضية [١].

---

(١) موسوعة القرن العشرين ص ٦٠٠ .

وهكذا يتبين لنا أن المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة هى محض خيال لأوهام باطلة ، هدفها هدم نظام المجتمع وتقويض دعائم الأسر.

خامسًا : الادعاء بأن الآلهة قديما كن من النساء .

يدعى دعاة التحرر أن أغلب الآلهة فى القديم كُن نساء رفيعات المستوى فكن آلهة للسماء والحكمة وغير ذلك .

تقول د . نوال السعداوى (١) :

وقد أوضحت الحقائق الجديدة فى علم الأنثروبولوجى أن المرأة فى الحضارات القديمة كانت إلهة السماء وليس الأرض ، فقد اكتشفت إلهات الشمس فى بلاد كنعان (فلسطين القديمة) ، وفى الأناضول ، والجزيرة العربية وأستراليا ، بل اكتشف أيضا إلهات الشمس فى الإسكيمو ، واليابان والهند . هؤلاء الإلهات كان إلى جوارهن إخوة ذكور يرمزون للقمر . وفى مصر كانت الإلهة «نوت» (net) إلهة السماء ، وأخوها وزوجها « جيب » (Geb) يرمز إلى الأرض . وفى سوريا كانت الإلهة أثار (tthar) وأستريت عند الفينقيين .

وإلهة السماء فى سومر (جنوب العراق) كانت امرأة ، أو ملكة السماء معبدها فى « إيرك» (Erech) وجد فيه أول دلائل على اللغة المكتوبة منذ خمسة آلاف عام . وفى الهند الإلهة سراسفاتى (Sarasva-ti) كانت خالقة أسس الحروف الأبجدية ، وفى أيرلندة القديمة كانت الإلهة « بريجيت » (Brigit) هى إلهة اللغة .

---

(١) د. نوال السعداوى : عن المرأة ، ص١١ ، دار المستقبل .

اكتشفت أيضًا أن الإلهة « نيدابا » Nidaba فى سومر ، هى التى نسبت فن الكتابة قبل أى آله آخر . وفى اليونان كانت الإلهة ديمتر (Demeter) ترمز إلى المعرفة والقانون والعدل . والإلهة المصرية ماعت (Maat) كانت إلهة النظام والعدل . والإلهة «اشتورا» (Ashtoreth) فى كنعان إلهة السماء التى قالوا : أنها ذكر وليست أنثى . وانتشرت عقيدتها آلاف السنوات قبل ظهور «إبراهيم» مؤسس النظام الأبوى، وأبى الأنبياء فى الأديان السماوية .

ويشرح بعض العلماء كيف غُيرت فى التاريخ أسماء النساء الإلهات إلى أسماء رجال . يقول البروفوسور والتر إيمرى (walter Emery) أن « مريت نيت » هى الحاكم الثالث للأسرة الأولى فى مصر القديمة خليفة « زير » . وكتب السير فليدرز بيترى (Sir Flinders Petrie) يقول : « كان يعتقد أن مريت نيت (Meryet, Nit) ملكا رجلا ولكن البحوث أوضحت إنها امرأة ، أو ملكة حسب ثراء المدفن. ويقول أيضا أن هورأها (Hor, Aha) أول ملك للأسرة الأولى كانت نيت حوتب (Nit Hotep) وهى امرأة أم هورأها ، والملك «نارمر» كشفت بعض آثار سقارة أنه كان امرأة .

قبل المسيحية فى أيرلندة كانت الإلهة سيلتيك (Celtic Ceirid-ween) هى آلهة الحكمة والمعرفة والذكاء .

ويؤكد بعض العلماء أن الإلهة الانثى عُبدت منذ ٧٠٠ ق.م فى العصر الحجرى الحديث ، وترجع بعض ديانات المرأة إلى العصر

الحجرى القديم منذ ٢٥,٠٠٠ سنة ق.م .

ومازلنا نجهل الكثير عن تلك الحضارات القديمة، ولدينا الكثير من الآثار القديمة فى مصر والتى تحتاج إلى مزيد من الدراسة والفحص لكشف الحقائق عن تلك الفترات البعيدة فى التاريخ ، وكشف التزوير الذى حدث من قبل مؤرخى الفراعنة والملوك والحكام والغزاة الأجانب.

يقول التاريخ إن اندثار ديانة إيزيس أو الديانة المصرية القديمة لم يكن سهلا ، ولم يتم بسرعة . فقد انتشرت عبادة إيزيس فى مصر كلها بل وفى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية فيما بعد . وأصبحت هى ديانة الدولة الرسمية وأقرت روما بشعائرها المصرية وأنشئت لها المعابد فى قبرص وصقلية وأنطاكية وروما وفرنسا وإنجلترا. ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد ظهرت معابد إيزيس فى رودس ولسبوس وتيرا وأزمير وفى جزيرة ديلوس . وكان السبب فى انتشارها أنها كانت عبادة غنية بالعمق الروحى ، وليست كالمذاهب الفلسفية المتناقضة التى انتشرت بين الهيلبيين . كانت عقيدة مليئة بالحنان والطمأنينة والسمو .

وتقول كتب التاريخ أن ديانة إيزيس قاومت الاندثار حتى منتصف القرن السادس ميلادى ، حيث بعث الإمبراطور جوستنيان قائده نارسيس إلى جزيرة «فيلة» ودمر معابد إيزيس وأرسل كنوزها إلى القسطنطينية وألقى بكهنة معبد إيزيس - آخر حملة الثقافة المصرية القديمة - فى السجن حيث ماتوا جوعا وإهمالاً .

وما إن حل عام ٣٠٠م حتى كانت المسيحية قد ثبتت فى مصر .

وفى عام ٣٨٠م أصدر الإمبراطور ثيودسيوس أمره بايقاف العبادات المصرية القديمة واعتماد المسيحية كدين رسمى وحيد للإمبراطورية ، وحرقت المتاحف والمراكز العلمية ومكتبات الإسكندرية ودمرت الثقافة المصرية القديمة وتراثها الأدبى والفلسفى والعلمى والتاريخى وقتلت «هيباتيا» المصرية أستاذة الفلسفة بجامعة الإسكندرية. وفى عام ٣٩٠م حصل البطريك «ثيوفيلوس» من القيصر ثيودوسيوس على إذن تخريب أكبر أكاديمية علمية فى مصر وهى « السيرابيون» وحرق مكتبتها ونجا من ذلك التخريب بعض الآثار فى أقاصى الصعيد وخاصة فى جزيرة فيلة التى أصبحت الملجأ الأخير لمن كتبت لهم النجاة حتى ذلك الوقت من الآلهة المصرية القديمة وهم إيزيس وأوزوريس وحتحور وخنوم وأمنحتب. ويقال إن أربعين ألف صورة وتمثال للآلهة المصرية القديمة قد دمرت دفعة واحدة فى ذلك العهد . رغم ذلك غزت عبادة إيزيس المصرية كل أنحاء العالم ونحن نرد قائلين :

كان هناك آلهة تعبد أسماء نسائية ولكن بالطبع لم يكن آلهة حقيقية، فذاك أوهام وأكاذيب وأباطيل قرون متخلفة ، ومع ذلك كان رئيس الآلهة المهاب المطاع الآمر الناهى ذكريًا ، ولم تشذ عقيدة أو دين وثنى عن ذلك .

كما يجدر الإشارة أن إطلاق لفظ أنثوى على إله ليس دليلاً على أنها أنثى ، ففى كل لغات العالم هناك تداخل بين الأسماء الذكرية والأنثوية ، فالشمس فى لغة مؤنثة وفى أخرى مذكرة ، وقال تعالى :

﴿ إنْ هِيَ إلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم: ٢٣].

لقد كانت قصة إيزيس وأوزوريس أسطورة أى أوهام خيال ، ومع ذلك عبدها الجهلة ، وفى ذلك خير دلالة على أن الإنسان فى حاجة لعباده إله ، لأن هذا من فطرته ، وأثبت العلم الحديث أن الصفات الوراثيه الثابتة فى كل خلية من خلايا الإنسان تحوى على صفة العبادة والإيمان بوجود إله ، فكان انبعاث يرسل لتصحيح المفاهيم الخاطئة ضرورة، ولم يكن إبراهيم «عليه السلام» أولهم بل تبعه الكثيرون.

والنظام الأبوى هو نظام طبيعى سبق إبراهيم عليه السلام بأحقاب كثيرة ، وربما تدلنا صور الكهوف والآثار القديمة أنه فى عهد ما قبل إبراهيم وكان الرجل أضخم حجمًا ويجر المرأة من شعرها بعد الفوز بها نتيجة القتال ، فالنظام الأبوى كان منذ بدء الخليقة فآدم هو والد حواء.

وعند نتساءل لم الحل بالنظام الأموى ، الذى لو تحقق لدمر العالم، إن المرأة تحكم العالم بدموعها وأنوثتها ، فكيف لو ملكت القوة والحكم والرياسة والسلطة مع الدموع والأنوثة ؟!

إذن فادعاء تعدد الآلهة سواء ذكورا أم نساء فهو دليل تخلف فكرى. قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

المبحث الثانى
دعاة التحرر
ومطالبهم الشاذة

المبحث الثانى

دعاة التحرر ومطالبهم الشاذة

توطئة :

بدأت الدعوة لتحرير المرأة حديثًا ببداية الاستعمار الفرنسى لمصر ، ولا شك أن المجتمع حينذاك كان يعانى من ظلم الرجال والنساء، ثم اتسع نطاق الدعوة إبان الاحتلال الإنجليزى لمصر حيث شجع الإنجليز دعاة وداعيات تحرر المرأة على نشر دعواهم ، فهى التى تخلت عن أحكام الدين الإسلامى ، وقد زادت نيران تلك الدعوة لهيبا حاليا مع ازدياد الدمار واتساع الاحتلال الأمريكى المباشر والعسكرى» ، والغير مباشر « الثقافى والدينى والاقتصادى والإعلامى والسياسى . ، فخرجت الدعوة من المألوف المعقول إلى الشاذ غير المقبول ، وتحولت من نداء خفيض الصوت إلى عويل مرتفع الصوت ، مما جعل تلك الدعاوى تتحول من المطالبة بحقوق النساء إلى المطالبة بوأد الرجال فظهرت عُقد النساء ـ الداعيات فى الغالب ـ من ذكورة الرجال ، فحاولن طمس هوية الذكر وانتزاع قوامته ، فدعوا إلى ضرورة قيادة المرأة للأسرة بدلاً من الرجال ، ووصلت الأحلام إلى منتهاها فطالبوا بالحلم الأعظم وهو قيادة المرأة للعالم وحكمه . وبين هذا المطلب وذاك الحلم طولب بتحرير المرأة من العفة والسماح لها بالزنا إن رغبته وغير ذلك.

ونحن نرى أن هذه دعاوى فاسدة ستثور ثم تختفى وإن تحقق البعض إلا أنه لا محالة زائل فى القليل من السنوات، وصدق تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[الرعد: ١٧].

أولاً :جنون دعاة تحرر المرأة .. وعقده المذكر

الملاحظ أن داعيات تحرر المرأة لديهن عقدة مُحكمة الوثاق حول قلوبهن من الذكورة « الرجولة » . وكأنهن يحقدن على ما وهب الله الرجال من فضل ، ولو أنهن آمن بأن كل جنس من ذكر وأنثى يُسر لما خلق له لما أصابت عقولهن لوثة « عقدة الذكورة » .

وقد بدأ هذا الجنون بالادعاء أن بعض الملوك الرجال كانوا نساء، وتم تغيير أسماء كثيرة لملوك نساء إلى أسماء الرجال حتى تطمس أعمالهم وتمحى انجازاتهم ، فتقول د. نوال السعداوى « لقد كان إخناتون [١٣٧٢ق.م] أول من بدأ شريعة توحيدية ، واتخذ معبوداً واحداً هو «رع حار اختى » الذى يتألق فى الأرض بمظهر « شو » النور ، ويكمن فى قرص الشمس»[١] .

ويعتقد بعض الباحثين أن اخناتون هو اسم تم تحويره من « أخت آتون» ، وانه كان امرأة وليس رجلاً ، وقد تم تغيير اسمه ضمن الأسماء الأخرى التى غُيرت بعد هزيمة المرأة » [٢] .

وحتى يتسنى لنا الرد على هذا الزعم ، فقد لجأنا إلى موسوعة مصر القديمة للدكتور / سليم حسن وقد جاء بها عن إخناتون:

(١) د . نوال السعداوى ، قضايا المرأة ص٤١٤ .

(١) أبو هريرة سيد الرواة ، ص٧ .

« وقد اشترك الملك وزوجته « نفرتيتى » فى وضع تخطيط المدينة «آفق آتون» وقد احتفل بهذا الحدث احتفالاً عظيمًا.

وكان الملك فى سرادق من نسيج أمر جلالته بصنعه ، ومعنى إخناتون « ملك آتون » وكانت أسره اخناتون تتألف من :

الملك والملكة « نفرتيتى » ، ثم الأميرة « مريت آتون» والأميرتان «مكت آتون» و « عنخس إن با آتون» ، ورزق برابعة هى « نفر نفر وآتون تاشيرى» (١) .

ونحن نتعجب كيف يدعى هؤلاء الدعاة أن إخناتون كان أنثى !!!

هذا وقد تطور هذا الفكر من السيء إلى الأسوء ، ومن الخطأ إلى الخطيئة .

فها هى د. نوال السعداوى تدعى أن الله ذكر وكونه ذكراً فهو سبب الظلم وعدم العدالة والاستعباد لكافة خلقه فتقول : « نشأ فى التاريخ الفصل بين العدل والسلام ، اندرجت النساء والعبيد والحيوانات تحت بند الأشياء حتى يملكها الرجل صاحب الأسرة « الفاميليا » وقع الظلم على النساء والعبيد والأجراء وفرض عليهم السلام أيضا ، رغم وقوع الظلم ، لم يكن لهؤلاء النساء والعبيد أن يحاربوا الأسياد الآلهة وإلا اعتبروا شياطين وكفرة ، ومن الواجب قتلهم أو حرقهم أو نفيهم خارج البلاد .

---

(١) موسوعة مصر القديمة للدكتور / سليم حسن ج٥ ص٢٧٣ ، ٢٧٥، ٢٧٧ .

هذا حدث على مدار التاريخ منذ احتكار الإله الذكر الواحد لعرش السموات والأرض ، رغم أن هذا العرش فى مصر القديمة مثلا كانت تجلس عليه الإلهة «نوت» ، والإلهة إيزيس وغيرهما من الإلهات الإناث وآلهة أيضا من الذكور » (١) .

يا للهول . . . أتساوى « نوال » بين الله وبين آلهة مخترعة ، خلقتهم أفكار البشر وخيالاتهم وليس لهم فى الواقع من دليل ؟! إن تعبير « منذ احتكار الإله الذكر الواحد عرش السموات والأرض» يحوى فى باطنه أن الله لم يكن هو الإله قبل خلق ما خلق ، وأنه - والعياذ بالله - إله قد عين فى وظيفته فى فترة زمنية لاحقة !!!! أنسيت قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤] .

وعن خلق البشر لآلهة يقول الله عز وجل : ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الرعد: ٣٣] .

وكيف تدعى د. نوال ، هى ومن ينهج نهجها أن الله ذكر؟!!

إن الله هو : اسم علم لذات واحدة لا ثانى لها ، وهو خالق السموات والأرض والكون بأسره ، هذه الذات « ليس كمثلها شىء» إن هؤلاء لم يصلوا فى فكرهن لكفرة الجاهلية منذ مئات السنين ، حيث

(١) د. نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص ٩٣ .

عرف كفار الجاهلية الله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١] ، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦٣] .

والقول بذكورية الله ـ والعياذ بالله ـ ليس بفكر جديد مستحدث ولكنه فكر قديم يجدد ، قد نطق بمثله من قبل الكافرون فقال الله عنهم : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا (١) لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام:١٠٠] .

لقد اعترض الله على وصف الملائكة بالإناث فقال : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف:١٩] .

وقد انتقلت العدوى إلى اللغة ، فقد اتهمت داعيات التحرر بإهانة المرأة ، وتقول د . نوال : « وكان معنا أستاذة جامعية من الباكستان تحدثت سبع ساعات متصلة عن إيمانها العميق بأن الله ساوى بين المرأة والرجل فى القرآن . لقد قضت هذه الأستاذة واسمها الدكتورة « رفعت حسن» خمسة وعشرين عامًا فى دراسة القرآن ومحاولة تفسيره حسب

(١) خرقوا : أى افتعلوا وافتروا ، وكونهم نسبوا ذلك ـ خطأ ـ لله ، فمعنى ذلك أنهم ادعوا ذكورته ، كما يدعى دعاة تحرر المرأة الآن .

إدراكهـا أن « الله هو العـدل » ، وأن اللغة العـربية قد تم تحـويرها أو تذكيرها (جعلوها مـذكرة) لتخدم مصالح الذكور ضـد مصلحة النساء. وتوصلت الدكـتورة رفعت حـسن إلى معـان تختلف تماما عـن المعانى القـديمة التى شاعت في المدارس الإسـلامية المختلفة ، ومن أهم مـا توصلت إليـه أن القرآن لم ترد به آية واحـدة تذكر حـواء بالاسم ، أو تقول : إنها خلقت من ضلع آدم .

كـانت ترتدى السارى البـاكـسـتـانى بلون أزرق سـماوى وعـيناها سوداوان واسـعتان مملوءتان بالإيمان بالـله العادل وقالت بحـماس: «فى القـرآن يقول الله : إنه خلقكـم من نفس واحدة وخلق منهـا زوجهـا. كلمـة النفس هنا مـؤنثـة . ومـعنى ذلك أن المرأة خلقت أولاً ثم جـاء زوجها من بعـدها ، بخلاف المفسرين القـدامى الذين قالوا: إن النفس هى «آدم» لكن «آدم» اسم مـذكر فـكيف تكون نفسـه مـؤنثة ؟ القـرآن واضح اللغة ، لكن رجـال الدين ترجموا لغـة القرآن ترجمـة سياسـية حسب مصالحهم وليس ترجمة لغوية صحـيحة ، الترجمة عمل سياسى وكذلك أيضًا التفسيرات » .

لم تقبـل امرأة من سريلانكـا كلام د . رفعت وتسـاءلت : أليس هناك حديث للرسول محمـد ﷺ يقول فيه : إن المرأة خلقت من ضلع أعوج؟

وردت د . رفعت حسن قائلة : « درست هذا الحديث من شقيه: الإسناد والمحتـوى. وجـدت أن الإسنـاد ضـعـيف لأن الذى رواه أبو

هريرة، وكـان الإمام أبو حنيـفة يرفض الأحـاديث التي رويت عن أبى هريرة، ولا يقبـل إلا الأحاديث التى رواها ثلاثة أشـخاص على الأقل ممن صاحبوا النبى وتمتعوا بثـقة الجميع . أما ابن خلدون فلم يكن يقبل الأحاديث إلا بمحتـواها ، ولم يكن يهتم بالإسناد أو من رواها، ثم إن الآية القرآنية أقوى من الحـديث النبوى ، وإذا اختلف الحديث مع الآية أُخذ بالآية وتُـرك الحديث ، ومن الضرورى فى كـل الأحوال أن نُرجع الحديث أو الآية إلى ظروفها والبيئة التى صدرت فيها»(١).

انظر لوصف « د.نوال» لتلك المرأة « أسـتاذة جـامعـيـة.. إيمانـها العمـيق بأن الله ساوى بين المرأة والرجل فى القـرآن.. قضت خمـسة وعشرين عاما فى دراسة القرآن ومحـاولة تفسيره حسب إدراكها أن الله هو العـدل . . . عيناها سـوداوان واسعـتان مملوءتان بالإيمان . . » إنـها أوصاف توهم القـارئ أنه بصدد نبية يوحى إليـها . . لا بصدد مُدعـية بعلم التفسير الذى لا تعلم عنه شيئًا !!

فهـا هى تدعى أن لفظة « نفس » جـاءت مؤنثة فى الـقرآن الكريم وفى ذلك دلالة على أن حـواء خلـقت قبـل آدم . . إنهـا تناقض ثلاثة كتب سماوية وثلاثة أديان فى آن واحد ، وكل إنسان له نفس ، وروح، وعين ، فهل معنى ذلك أنه مؤنث ، إن إطلاق لفظ نفس يشمل المذكر والمؤنث يقول تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس] ، فالنفـس هنا تشمل خلق الله من ذكـر وأنثى ، كمـا يقول

(١) د. نوال السعداوى ، قضايا المرأة ص ٤١٤.

تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر:٣٨]، ويقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[آل عمران:١٨٥] ، والنفس هنا تشمل الذكر والأنثى .

إن نفسى تكاد تفارقنى لقول هذه المدعية : « لكن رجال الدين ترجموا لغة القرآن ترجمة سياسية» ، إن هذه العبارة كقبر مُزَين يخفى داخله فكراً نتنًا مُقززاً ، إنه يوحى أن القرآن قد بُدل وغير وتدخلت فيه أهواء البشر ، إن القرآن محفوظ بلا تغيير أو تبديل وإلى يوم الدين، يقول تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] ، ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢] .

ثم تتطاول على السُنة وعلى أبى هريرة فتدعى أن بعض العلماء لا يأخذون بأحاديثه ، ألم تعلم أن أبا هريرة من أكبر وأعظم رواة الحديث، وأن كتب الصحاح كالبخارى ومسلم وغيره تحوى من أحاديثه الآلاف ؟!

ونحن يسعدنا الرد عليها مع أننا لسنا من العلماء التخصصين فالرد لا يحتاج إلى علم غزير ، فنقول :

« ظل أبو هريرة مُصاحبًا للنبى ﷺ مُنذ أسلم وحتى تُوفى النبى ﷺ ، فقد كان أبو هريرة مُلازمًا للنبى ﷺ فى الحضر والسفر وشاهد مع النبى ﷺ كل الغزوات التى يرويها أبو هريرة عن النبى ﷺ، مع أنه أسلم متأخراً ، فكان أبو هريرة يرد عليهم بقوله : قدمت ورسول الله

ﷺ بخيبر ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين ، فأقمت معه حتى مات، أدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج، فكنت أعلم الناس بحديثه ، وقد سبقنى قوم بصحبته ، فكانوا يعرفون لزومى للنبى ﷺ فيسألونى عن حديثه ، منهم عُمر وعُثمان وعلى وطلحة والزبير ، وإنى كُنت امرءًا مِسكينًا رسول الله ﷺ على ملء بطنى ، وكان المهاجرون تشغلهم التجارة بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم » (١) .

ومعلوم أن أبا هريرة أسلم بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة الخندق التى كانت سنة ٤هـ أو ٥ هجرية (٢) أى أنه رافق الرسول ﷺ حوالى ست سنوات وليس ثلاث سنوات ونصف ، فلو حسبنا ٣٥٠٠ حديث على ٣٥٤×٦ يومًا لأصبح متوسط الأحاديث التى حفظها يوميا ١,٥ حديث وبافتراض عدد الأحاديث ٥٣٠٠ لكان المتوسط ٢,٥ حديث يومى ، وهل يعد ذلك مبالغًا فيه ؟!

ونود أن نصحح للكاتبة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد روى أحاديث للرسول ﷺ ، ولكنها ليست كثيرة حيث كان يخاف النسيان وأن تشغله الأحاديث عن القرآن الكريم » .

---

(١) أبو هريرة سيد الرواة ، ص ٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٤ ـ مؤسسة علوم القرآن بدمشق وجاء عنها « ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة ٥هـ ، وجاء بالهامش : « اختلف فى تاريخها فقال موسى بن عقبة : كانت سنة أربع » .

قوة ذاكرة أبي هريرة وسببها :

جاء في صحيح البخاري ، وليس كما تدعي الكاتبة « اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة أبي هريرة .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قلت يا رسول الله ، إني سمعت منك حديثًا كثيرًا ، فأنساه ، قال : « ابسط رداءك » فبسطت فغرف بيديه فيه ثم قال : « ضمه » فضممته فما نسيت حديثا بعد».

« استطاع أبو هُريرة حفظ الأحاديث وتأكيد حفظها من النسيان ببركة دُعاء النبي ﷺ له ، فذات يوم كان أبو هريرة جالسًا عند النبي ﷺ مع زيد بن ثابت ورجل ثالث ، فقال لهم النبي ﷺ : « ادعوا» فدعا زيد والرجل ، فأمن النبي ﷺ على دعائهم ، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي ، وأسألك علمًا لا ينسى، فأمن النبي ﷺ على دعائه ، فقال زيدٌ ، ونحن كذلك يا رسول الله، فقال ﷺ : « سبقكما الغُلام الدوسي » [رواه الحاكم] .

ومع إيمان الجميع بسرعة حفظ ودقة حفظ أبي هريرة ، إلا أن البعض حاول اختباره بعد كبر سنه .

« أراد مروان بن الحكم أن يختبر قوة حفظ « أبي هريرة » لحديث النبي ﷺ ، فأمر كاتبه أن يجلس خلف الباب بحيث لا يراهُ أبو هريرة، ثم أرسل مروان إلى أبي هريرة ، وظل يسأله عن حديث رسول الله ﷺ وأبو هُريرة يُجيب ويُحدث ، والكاتب يكتب .

كُل ما يقـوله أبو هريرة دون أن يدرى به أبو هريرة ، حـتى انتهى أبو هريرة من الأحاديث .

وبعد سنة كاملة ، أرسل مـروان إلى أبى هريرة ، وأخذ يسأله عن نفس الأحاديث التي سألها من قبل ، وأبو هريرة يجيب ويحدث، فلماً انصرف أبو هريرة خرج الكاتب وقال لمروان : ما زاد فيها ولا نقص ولا قدَّم ولا أخَّر » (١) .

إن قولها : « لابد أن يـرجع الحديث أو الآية إلى ظروفها والبـيئة التي صـدرت عنها » فـيـه محـاولة لإيحـاء بأن القرآن هو نتـاج تراث حـضارى وليـس كلام الله المنـزل على رسول اللـه ﷺ ، وهذا كفـر بالإسلام بطريق ملتو وغير مباشر.

إن بداية الخلق بآدم حقيقة لا تنكـر ، حيث قال تعالى للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] بالمذكر ، ثم أمرهم بالسجود لآدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] فالأمـر بالسـجود اعتـراف بعظمة الله فى خلـق آدم ، ولم تكن حواء قد خلـقت بعد ، فهل بعد ذلك تستطيع هى وأقرانها الادعاء بأن حواء خلقت أولاً ، وأن الآية تعارض الحديث؟!

هذا ، وقـد تعدت عـدوى جنون اتهام القـرآن بالميل للمذكـر إلى عقـائد أخرى، فـيقـول القس د. فايز تادرس لـلمسـيحيـات رداً على

---

(١) الحجاب والختان والعفة للمؤلف: ص٨٩/ ٩١ .

حركات تحـرير المرأة: « أرجو أن تسمعن وتقرأن شيـئا عن الأبعاد التى وصلت إليها هذه الحركة (حركة تحرير المرأة liberation movement womens) التى تريد أن تجـركن إليهـا » معـذرة لاستخـدام نون النسوة لأن هذه هى قـواعد اللغة التى أخـشى أنه فى المستقـبل القريب ستقوم حركة نسائية لتغيير اللغة نفسها كما حدث فى الخارج .

١ ـ وأصدرت مطبعة جـامعة أكسفورد طبعة جـديدة للعهد الجديد أطلقت عليها «طبـعة اللغة الشاملة» ، غيرت فيـها كل ما يدل على أن الله « مذكر » .

* عقد منذ عدة سنوات مؤتمر للسيدات المسيحيات المتحررات تحت رعاية المجلس القومى للكنائس المسـيحية بأمريكا ، رفض فـيه السيدات لفظ « يســوع » أو « المسـيح » للإشارة إلى شـخص الفـادى المجيـد، وأطلقوا عليه اسم « صوفيا أى الحكمـة » لأنها لفظ متحرر من الذكورة والتعصب لها .

وحاولت أن تحذف كل ما يدل على التـعصب للذكورة فى الكتاب المقدس حسب نظرهم . هذه الحركة التحررية للنساء تقول : إن الكتاب المقدس كتبه رجال فى زمن كانت فيه سيادة الرجل على المرأة ، وينبغى تجديد اللغة فى الكتـاب المقدس . فمثلاً عـدلوا بدء الصلاة الربانية إلى «أبانا وأمنا فى السـمـاء» ، ولأنهم يعتقـدون أن كلمة «ملكوت» هى من مخلفـات عصـر القهر والسلطـان ، غيروا الطبـعة التى تقـول « ليأت ملكوتك» إلى « ليـأت حكمك » ، وغـيروا كلـمة «ابن الإنســان» إلى

«الشخصية البشرية الوحيدة» وهكذا»[1] .

إنها حرب لا لتحرر المرأة ولكنها لتحرر البشر عن كافة الأديان ؛ ليكونوا عبادًا للنساء وشهواتهن ، لا عبادًا لله .. !!

---

(١) عن مقال بمجلة أجنحة النسور « المسيحية » العدد (٣٩٨) ـ نوفمبر ١٩٩٥م ويقصد بالعهد الجديد : الإنجيل .

ثانيًا : الإساءة لقيادة الرجل للأسرة والدعوة لقيادة المرأة للأسرة:

المتبع لدعاوى تحرر المرأة منذ قاسم أمين ورفاقه حتى اليوم وغداً يجد أنها تسير وفق منهج واحد متفق عليه وكأنه يدرس أكاديميا من جيل لآخر، حتى يبدو كالثوابت التاريخية والحقائق العلمية التى لا سبيل لإنكارها ، ويظهر ذلك جليًا فى ألفاظ خاصة لها مفاهيم ظاهرها الكذب والرياء وباطنها العذاب ، ومن هذه الألفاظ الهدامة « النظام الأبوى الطبقى » ، « النظام الأموى - وهو لا يوصف بالطبقى».

وقد أوضح قاسم أمين معالم هذا النظام - دون تسميته فقال: «هذا هو مجمل تاريخ حياة المرأة فى العالم ، نلخصه فى كلمتين : عاشت المرأة حره فى العصور الأولى حيث كانت الإنسانية لم تزل فى مهدها، ثم بعد تشكيل العائلة وقعت فى الاستعباد الحقيقى.

ثم لما قامت الإنسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق، واعترف للمرأة بشىء من الحق ، ولكن خضعت لاستبداد الرجل الذى قضى عليها بألا تتمتع بالحقوق التى اعترف لها بها ، ثم لما بلغت الإنسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة وتساوت المرأة بالرجل فى جميع الحقوق ، أو على الأقل فى معظمها»[١].

هذا ، وتوضح فريدة النقاش ما ستره قاسم أمين من اسم لهذا النظام الذى يدعيه - فتقول : « ... دعا قاسم أمين ... إلى تحرير

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٢٢.

المرأة منتقدا النظام الأبوى . . . » وتوضح مقصود قاسم أمين « العصور الأولى . . حيث كانت الإنسانية فى مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت فى الاستعباد الحقيقى » (١) .

فتقول : « إن مستوى التطور التاريخى الاقتصادى / السياسى يلعب دوراً حاسماً فى قضية تحرير المرأة ، التى أصبحت منذ انهيار المجتمع الأمومى والمشاعية البدائية جزءاً من الملكية الخاصة للرجل» (٢).

ومن ذلك تتضح الدعوة المستترة لعودة المجتمعات البدائية التى كانت المرأة فيها لذة مشاعة للجميع بلا زوج خاص لها ، وبالتالى فمولودها ينسب إليها ، حيث لا يُعلم على سبيل اليقين من أبوه ، وهو ما يسمى عند دعاة التحرر ـ سامحهم الله ـ النظام الأمومى ، ودعاة التحرر يعتبرون النظام الأمومى هو الأصل ويجب العودة إليه .

تقول فريدة النقاش : « كانت الآلهة من النساء ، وكان أطفال المرأة ينسبون إليها ، وتمتعت النساء بحقوق واسعة ، ثم انهار المجتمع الأموى وانتقل المجتمع إلى النظام الأبوى صار الحكم الأخلاقى والقانونى والاجتماعى والاقتصادى فى الديانة السومرية يختلف على الرجل منه على المرأة . . وأخذ الأب ثم الأخ الأكبر يتمتعان بسلطات مطلقة على النساء ، وكان زنا الرجل يعد نزوة ، لا يقرها المجتمع أما زنا المرأة

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء ص٧٦ .

(٢) فريدة النقاش : حدائق النساء ص١٢٥ .

فعقوبته الإعدام » (١) .

وتوافقها د. نوال السعداوى الرأى فتقول : « علاقة السلطة بالجنس علاقة قديمة منذ ما سمى فى التاريخ بالنظام العبودى ، أو النظام الطبقى الأبوى ، أصبح الأب هو صاحب السلطة والنسب والشرف والأملاك ، كانت أملاك الأب تشمل النساء والأطفال والماشية والأرض ، ويطلق عليها اسم « الفاميليا » ومنها تطورت أشكال الأسرة أو العائلة فى عالمنا الحديث وما بعد الحديث. واختفى اسم الأم فى المؤسسات الجديدة التى نشأت مع النظام الطبقى الأبوى ، إنها مؤسسات الدولة والعائلة ، فقدت الأم أهميتها وحقها من منح اسمها لأطفالها أو جنسيتها أو دينها أو لغتها ، تحولت المرأة إلى أجيرة بلا أجر تعمل فى البيت ، أو فى الأعمال الجسدية التى لا تتطلب الفكر أو الكتابة ، فرض عليها الصمت ، وإن تكلمت فهى لا تتكلم بلسانها وإنما بلسان الرجل» (٢) .

والواقع أن الادعاء بأن الأصل هو النظام الأمومى خطأ كبير ، فالأصل فى الحياة ونشأتها وتطورها هو المجتمع الأبوى ، وانتساب الأولاد للأب هو الأصل ، بل إن حواء نفسها انتسبت وسُميت باسمها لخلقها من الرجل ، وهذه الحقيقة تتفق عليها كل الأديان السماوية وغير السماوية فقد جاء فى التوراة : « فأوقع الرب الإله آدم فى نوم عميق،

(١) المرجع السابق ص٢٢٥ .

(٢) د/ نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٥ .

ثم تناول ضلعًا من أضــلاعه وسد مكانه بــاللحم (٢٢) وعمل من هذه الضلع امـرأة .. (٢٣) .. فهى تدعى امـرأة لأنها من امرئ أخذت» [التكوين ٢/ ٢١ ـ ٢٣] .

كما جاء عن تـسمية حواء : « وسمى آدم زوجته « حواء » لأنها أم كل حى » [التكوين ٣/ ٢] .

فآدم هو من سمى حواء باسمها ونسب الاسم إليه لأنها أخذت من جـزء حى منه وهو ضلعــه ، فكيف تتطلع إلى نسب أولادها لهــا ؟!! وكذلك فإن ســجل مواليد « أبناء » آدم جاء بالتوراة الإصـحاح الخامس من سفـر التكوين منسوبًا إليه . « هذا ســجل بمواليد آدم يوم خلق الله الإنــسان . . . » [التكوين ٥/ ١] .

ولا يجب أن ننسى أن نسب المسـيح ـ عليه السلام ـ جـاء بالإنجيل مرتبطًا « بأصوله من الرجال : « هذا سجل نـسب يـسوع المسيح بن داود ابن إبراهيم (٢) وإبراهيم أنجب إسحاق . . . » [متى ١/ ١ـ١٧] .

وجاء عن خلق حــواء من زوجهــا فى القرآن : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] .

وجاء عن ضرورة نـسب الأولاد للرجل مع الاعتراف بحق الأم فى الأمومـة والولادة : ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الاحزاب :٥] . كما قال تعالى : ﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢] .

أما عن عبودية وامتلاك المرأة فالحقيقة أن التوراة والديانة اليهودية أقرت ذلك ولكن المسيحية خففت من حدته ، أما الإسلام فأبطل ذلك نهائيًا وكرم المرأة ، كزوجة وأم وأخت وغير ذلك .

وللأسف فإن د. نوال السعداوى تنكر ذلك فتقول : « وكم يتغنى الناس فى بلادنا العربية بالأم ويرددون عبارة : « الجنة تحت أقدام الأمهات » ، إلا أن الدراسة العلمية المتعمقة لأحوال النساء فى بلادنا تؤكد لنا أن حقوق الأمهات ضائعة فى الحياة الدنيا والحياة الآخرة على حد سواء .

إن اسم الأم فى بلادنا ليس له قيمة أخلاقية أو اجتماعية ، وليس إلا اسم الأب وهو الذى يعطى الشرف والوجود الاجتماعى للأبناء والبنات ، وقد استطاعت حركات النساء التحررية فى بلاد أخرى أن تكسر هذا الاحتكار الأبوى لنسب الأطفال ، وتتبع ذلك اكتساب النساء لبعض الحقوق الحديثة والاجتماعية الأخرى ، بالإضافة إلى المزيد من الحرية الشخصية للنساء » (١) .

وتحاول د. نوال إثبات أن نسب الأبناء للأم له أصل تاريخى فتقول:

« وفى تاريخنا المصرى القديم كان الزوج والزوجة متساويين تماما وفى الأسرتين الثالثة والرابعة كانت المرأة فى ذلك الوقت تنسب أطفالها

(١) د. نوال السعداوى ، قضايا المرأة ص ٩٩ .

إليـها ، وعندمـا سيطر الحكم الإقطاعى على الحكـم فى عهـد الأسرة الخامسة فـرض الرجل نظامه الأبوى ليرث الأب أبناءه ، وبدأ مع النظام الأبوى تعدد الزوجات ثم نظام التسـرى « المحظيات » وبدأ الأطفال غير الشرعيين » (١) .

« وفى الأسرة العبـرية الأبوية كان من سلطة الأب أن يقتل أبناءه، وقد خضع إسحاق لأبيـه إبراهيم عندما أراد أن يذبحه للإله «يهوى» أو «يهودا» (٢) .

« ومن ملوك العرب قبل الإسلام من نُسب لأمه كعمرو بن هند ، ومنهم من نُسب لأبيه ، وكـان نظام القرابة فى تلك القبـائل يقوم على أساس الأم لا الأب ، وتبـقى المرأة بعد زواجـها فرداً فى عـشيـرتها ، وينـتقل زوجـها للعـيش مـعهـا وكـان لهـا الحق فى اختـيـار زوجهـا وتطليقه»(٣) .

وتقول د. نوال السعداوى :

« وكان الأطفـال ينـسبون إلى الأم وليس إلى الأب فى قبـائل مثل خندق وجديلة ، وكان رسول المسلمين ينسب إلى أمه ويقال عنه محمد ابن آمنة، وكـان يقول عن نفســه : أنا ابن العواتك من سليـم « عاتكة بنت هلال ، وعاتكة بنت مرة ، وعاتكة بنت الأوقص » (٤) .

(١ : ٤) د.نوال السعداوى : الأنثى هى الأصل.

ونحن نقول :

إن الاستهانة بالدين بلغت ذروتها ، حتى إن « د . نوال» تنسى أو تتناسى وصايا الله تبارك وتعالى بالإحسان للأم والأب فى القرآن الكريم حيث قال الرحمن الرحيم :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ ، ٢٤] ، هذه الآيات الكريمة شملت حُسن الرعاية فى الدنيا والدعاء بالرحمة فى الآخرة .

كما قال الله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] إن هذه الآية القويمة تحمل إعزازًا خاصًا للأم لما تحملته من مشقة فى الحمل والوضع ، ويدعو الله فيها الأبناء لشكره على نعمة الأم ثم الأب ، ومشاركته الآباء فى هذا الشكر.

إننا جميعا مسلمين وغير مسلمين نُجل الآباء والأمهات ، ولا نربط بين انتسابنا للأب ، واحتقارنا للأم ، بل إن محبتنا محبتنا وحناننا تجاه الأم يزيد بمراحل عنه تجاه الأب ، لأن ما وهبتنا الأم من حنان وبر ورحمة ورعاية يفوق عشرات المرات ما نلناه من الأب، فلا علاقة بين امتهان الأم وعدم الانتساب إليها .

أما مـا تدعيه من قـدماء المصريين فى بـعض الأسر كانوا ينـسـبون الأبناء للنسـاء فنقول: أما نسب بـعض الملوك لأمهاتهم فـلم يكن عادة متـفشية ولكنه كـان استثناءاً مـرجعه شـهرة الأم وعظم نسبهـا وشرف أبويها، وارتباطها بحوادث ذات شهرة ، كعمرو بن هند .

ونود أن نصحح مفاهيـمها الخاطئة ، التى تحاول فيـها لى الحقائق فالرسول ﷺ لم ينسب لأمـه وإنما افتخر بشـرف أمه وجداته ، والدليل على ذلك أن الرسول فيه كان يفتخر فى المعارك فكان يقول :

« أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب»

وفى ميثـاقه المكتوب مع قريش فى صلح الحديبيـة كتب : هذا ما تعاهد إليه محمد بن عبد الله.

إن الهدف الرئيـسى والأساسى الذى يمثل حلما لدعـاة تحرر المرأة، والذى يتـمـثل فى نسب الأبناء للأم ، ليس لتـاريخـهـا ، ولكن لحل مشكلة الأمهات اللاتى لا يعرفن لأبنائهن أبا محدداً ، إنها دعوة فاجرة للعودة إلى نظام شيوع النسـاء وجعلهن عاهرات وكلأ مباحًا لكل الرجال تحت مسمى حرية المرأة فى جسـدها .

وفى ظل مفـهوم الصـحة الإنجابيـة ، والأسرة وحـيدة الوالد وهو المرأة» .

وهذا يظهـر جليا فى قـول د. نوال بعد أن أوضحت نجـاح بعض حركات النساء التحررية فى منح النساء حق نسب أولادهن إليهن وذلك

فى بعض الدول » وتتبع ذلك اكتساب النساء لبعض الحقوق الحديثة والاجتماعية الأخرى ، بالإضافة إلى المزيد من الحرية الشخصية للنساء».

إن مفهوم الحرية الشخصية عند دعاة التحرر هو حرية المرأة المطلقة فى جسدها بكافة أعضائه ، تستمتع به كيفما شاءت دون رادع من حلال أو حرام ، أى أنه حرية الفجور .

لقد صدق تعالى حين وصف هؤلاء فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

ثالثًا : تحرر المرأة وظهور الأسر أحادية الوالد والعائل

لا نقصد بالأسرة أحادية العائل ، الأسر التي توفى أحد الوالدين فيها فيتيتم أطفالها أو الأسر التي هدمها الطلاق ، ولكننا نقصد الأسر التي غادرها الأب أو الأم للعيش خارجها مع عشيقة أو عشيق ـ صديق في المفهوم الغربي ـ أو الأسر التي لم يعرف الأطفال فيها من هو الوالد لتعدد عشاق الأم الدائمين والمؤقتين وعابري السبيل وهذا النوع الأخير ظهر مؤخرًا للوجود نتيجة لتحرر المرأة من كل قيود الفضيلة والعفة تحت مسمى الحرية الشخصية .

ونحمد الله فإن هذه الأنواع من شبه الأسر لم تنتشر بعد في المجتمعات الإسلامية لتمسك أغلبها بالقيم الدينية والأخلاقية ، ولكننا وا أسفاه في الطريق إلى ذلك طالما زاد تحرر المرأة وخروجها من بيتها بلا سبب يقتضي ذلك ، وطالما اعترفنا بمبادىء ومقررات تآمرات «مؤتمرات» المرأة التي ترعاها الأمم المتحدة بهدف انهيار المجتمعات الإسلامية أسوة بالمجتمعات الغربية .

هذا ، وقد تفاقمت هذه الظاهرة في الغرب بكافة دوله ومعتقداته . ففي الولايات المتحدة : « انخفضت نسبة عائلات الأبوين في الولايات المتحدة بصورة ملحوظة خلال السنوات الماضية ، بحيث أصبحت عائلة واحدة فقط بين كل أربع عائلات أمريكية يعيش معها الأب والأم في منزل واحد ، حسبما جاء في مسح ميداني أجراه مكتب الإحصاء

الأمريكي .

وأوضح التقرير أن التدهور سيستمر وسط عائلات الأبوين ، وهذا اتجاه يحذر علماء الاجتماع من مخاطره ، وبصورة خاصة على الأطفال.

ففي عام ١٩٧٠م كانت نسبة عائلات الأبوين (الأب والأم معًا) في الولايات المتحدة تشكل ٤٠٪ من نسبة العائلات ، وبحلول ١٩٩٥م انخفضت هذه النسبة إلى ٢٥,٥٪ ، وقال كين برايسون معد التقرير : إن تصنيف العائلة في أمريكا ليس بالأمر اليسير .

وقال ديفيد يوبينوي ، الأستاذ في جامعة روتجرز الحكومية في ولاية نيوجرسي الأمريكية ومؤلف كتاب « الحياة دون أب » : إن نسبة انخافض معدل الأسر التقليدية في أمريكا لها تأثير سلبي كبير على المجتمع الأمريكي .

وأضاف : إن هذا الانخفاض في نسبة معدل الأسر التقليدية يعني أن نسبة الكبار ، الذين ليس لهم أي اتصال بشكل يومي مع أطفالهم ، كبيرة . وأعتقد أن لهذا تأثيراً خطيراً على نظرة الناس إلى الحياة »[1] .

« ولذلك ارتفعت نسبة انتحار المراهقين إلى ٣٣٪ فيما يستمر المستوى التعليمي للطلاب في الهبوط ويصاب ربع المراهقين بأمراض جنسية. أما في فرنسا فقد كشفت هيئة الإحصاء ما يلي : اثنان من كل

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ـ العدد (٣٨٠) أغسطس وسبتمبر ١٩٩٧م.

خمسة من المواليد الجدد يولدون خارج فراش الزوجية الآن . ومنذ ٣٠ سنة كانت النسبة ٦ من كل مائة »[1] . أى أن النسبة من ثلاثين سنة ٦٪ والآن ٤٠٪ .

« كما أوضحت دراسة أخرى عام ١٩٨٧م تبين منها أن ٧٠٪ من الشابات يعشن وحيدات أو مع أوليائهن .

وعدد الأسر الأحادية الوالد التي تعولها المرأة ٩٠٧ ألف أسرة .

عدد المتزوجات شرعيًا في اضمحلال مستمر حيث كان عام ١٩٨٠م ٣٤,٠٠٠ ثم أصبح سنة ٨٦ ، ٢٦٦,٠٠٠ أي بنقص قدره ٦٨,٠٠٠ »[2] .

« وفى النمسا ٤ من كل ١٠ ولادات كانت لأطفال غير شرعيين ! فإذا ما تذكرنا أن الذين يمارسون المعاشرة غير الشرعية يحتاطون عادة ضد الإنجاب ، فإننا نقول : إن الممارسات غير الشرعية أكثر من الممارسات الشرعية في النمسا ، ولا يختلف الحال كثيرًا في سائر دول الغرب .

والنتيجة الطبيعية أن تتناقص عدد حالات الزواج ، وهذا ما حدث فعلاً ، فقد ورد التقرير ، الذي أخذنا منه النسبة السابقة ، أن عقود الزواج المبرمة في النمسا تراجعت من ٤٥,٠٧١ العام ١٩٩٢م إلى

(١) منار الإسلام : شوال ١٤١٩هـ - فبراير ١٩٩٩ مقال د. علي محمد المجلة من كتاب للكتاب الأمريكي « ستيفن كوفاي » .

(٢) محمد رشيد العويد : من أجل تحرر حقيقي للمرأة ص١١٧ ، ١١٨ .

٤٢,٩٤٦ العام ١٩٩٥م ، أي بنقص قدره ٢,١٢٥ عقداً » [١] .

وقد بدأ دعاة التحرر من عَبَدةِ الفكر الغربي السقيم في دعوة المجتمع لتقبل فكرة حق المرأة في ولادة أطفال من السفاح ، باعتبار أن هذا تطور طبيعي بسبب الإيمان بفكرة حرية المرأة في جسدها وفي رحمها ، فطالب الكثير من هؤلاء الدعاة بالمساواة مع الرجال في إلحاق نسب الوليد للأم سواء كان الأب معلومًا أو مجهولاً ، « لقد ناديت كثيراً بأن يكون لاسم الأم الشرف ذاته الذي يحظى به اسم الأب ، وألا يكون هناك شيء اسمه طفل غير شرعي . وأيهما أكثر أخلاقًا وإنسانية أن نفرض على الفتاة التي اغتصبت أن تقتل جنينها بالإجهاض أو أن نعطيها الحق في أن تلد طفلها وتعطيه اسمها ؟! » [٢] .

والواقع أن د. نوال تحاول حل مشكلة الأبناء الغير شرعيين غير معلومي الأب والذين تلدهم البغايا والعاهرات ، والنساء اللاتي يعاشرن أكثر من رجل في آن واحد ، فأمثال هؤلاء من الصعب معرفة اسم الوالد ولو عُرف بطريقة علمية سيُنكر حتما صلته بالأمر ، كما أن هناك نساء تعددت علاقاتهن بحيث لا يعلمن كم رجل عاشرن وأين، فالتحرر الحديث أودى بالفضيلة إلى طي النسيان .

وفي مصر زادت بصورة كبيرة الولادات خارج فراش الزوجية، أي

(١) مجلة الوعي الإسلامي العدد (٣٩٠) صفر ١٤١٩هـ، يونيو ١٩٩٨م.

(٢) د. نوال السعداوي : قضايا المرأة ص٢١١ .

لأبناء مجهولي الأب ، أو الأب معلوم للمرأة وتخشى الفضيحة ، وهذا أدى إلى ظهور نوع جديد من الأطفال يصنف اجتماعيًا بأطفال الشوارع ومن هذا النوع ما تلقيه الأم بعد الولادة في الشارع أمام مسجد أو في عرض شارع ، وحلاً لهذه المشاكل الاجتماعية الجديدة تم التوسع في بناء الكثير من دور رعاية الأطفال حديثي الولادة ، لتتكفل الدولة برعاية هؤلاء اللقطاء الغير معلومي الوالد والوالدة.

وحيث إن هذه الرعاية تستوجب إنفاق الملايين من موازنة الدولة ، فقد اعترفت الدولة رسميًا بالأسرة وحيدة الوالد ، حتى تشجع الأم على الاحتفاظ بالوليد ورعايته ، ويبدو ذلك جليًا في أحكام القانون (١٢) لسنة ١٩٩٦م لحماية الطفل حيث جاء به :

« مادة (٢٠) : كل من عثر على طفل حديث الولادة في المدن أن يسلمه فورًا بالحالة التي عثر عليه بها إلى إحدى المؤسسات المعدة لاستقبال الأطفال حديثي الولادة ... وفي القرى يكون التسليم إلي العمدة أو الشيخ ...

مادة (٢٢) : استثناء من حكم المادة السابقة ، لا يجوز لأمين السجل ذكر اسم الوالد أو الوالدة أو كليهما معا ، وإن طلب منه ذلك في الحالات الآتية :

١ ـ إذا كان الوالدان من المحارم فلا يذكر أسماؤهما .

٢ ـ إذا كانت الوالدة متزوجة وكان المولود من غير زوجها فلا يذكر

اسمها »[1] .

ولا شك أن القانون مرآة صادقة للمجتمع ، وقد حاول المشرع إيجاد حلول لمشاكل جديدة حلت بالمجتمع ، وهو لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي في مواجهتها ، ولكننا لم نحاول جاهدين إيجاد حلول جذرية للقضاء على أصل هذه المشاكل ، وسوف نتزلق من حفرة إلى هاوية ، فنحن نعلم الأسباب ونعرف العلاج ، ولكن ضغوط دعاة التحرر الداخلية والتي تدعمها وتقويها قوى خارجية جعلتنا كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨] .

لقد أوضح الله لنا منهجه القويم في حفظ النفس والعرض وآياته في الزواج الصحيح فأعرضنا عن شريعته وصدق علينا قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢] .

(١) القانون رقم (١٢) لسنة ١٩٩٦م أحكام حماية الطفل .

رابعًا: الحلم بسيادة المرأة للعالم

بدأت حركات الدعـوة لتحرير المرأة بداية عاقلة متعـقلة ، كمرحلة أولى كان هـدفها الأسـاسي المطالبة برفع ظلـم واقع فعلاً على الـنساء كأمهـات وزوجات وأخوات وبنات ، فقد غـالى المجتمع في ظلم المرأة حتى سلبـها حقـوقها الإنسانيـة التي كفلتهـا الأديان السماوية وخـاصة الإسلام ، وقد لوحظ أن بعض هذه الدعاوي كانت أكثر تطرفًا فطالبت في خـضم هذه المعـركـة بحـقـوق إضـافيـة تتنـافى مع أحكام الأديان والأعراف والفطر السليمة ، وهي ما ما أطلَقَتُ عليه دعاوى تحرر المرأة.

وبعـد تحقق المـرحلة الأولى وهي رفع الظلم عن المرأة ، بدأ دعـاة التحرر بالمطالبـة بحقوق مُهينة ومشـينة للمرأة ، تؤدي إلى ظلم الرجل والمرأة على السواء .

وللأسف هناك قوى كُبرى مجهولة الهوية تشجع على المطالبة بهذه الحقـوق وتعمل على تنفيـذها بالترغيب والترهـيب والتهديد باستـخدام القوة العسكرية أحـيانًا ، وللأسف هذه القوى محركـها الأساسي الذي يقف من ورائها ليس معلومًا ، فهو أكـبر لوبي يعمل بنظام في الخفاء ، وليست الديانات اليهودية أو المسيحية وراء هذه القوى ، لأن هذه القوى تعادي الأديان كلها وتعمل على إلغاء كافة شرائعها المنظمة لحقوق المرأة.

ونحن نرى أن الدول العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وغـيرها ، وكذلك المنظمات العـالمية كالأمم المتحـدة ومؤتمراتها

«تآمراتها» ، مدفوعة بقوى أخرى مجهولة لإجبار الدول الأخرى من عربية وإسلامية وغيرها على تغيير شرائعها السماوية أو الأخلاقية أو الاجتماعية المنظمة لحقوق النساء ، ودليلنا على ذلك أن هذه الدول الحضارية العظمى عانت وما زالت تعاني من مساوئ تحرر المرأة ولكنها لا تستطيع دفعها وتغيير الأحوال .

ونجاح دعاة التحرر في تعيين النساء كقضاة ووزراء ورؤساء وزراء ورؤساء حكومات ورئيسات جمهوريات ، جعلهن « الدعاة » يتطاولون في الأحلام ويتمنون أن تحكم النساء الأسر ويكون لها حق القوامة على الأسرة ، ثم على المجتمع وأخيراً على العالم .

وبدأت الدعوة بنقد ما أسماه دعاة التحرر « النظام الطبقي الأبوي»، و« الثقافة الأبوية » ، و « النظام الطبقي الاستبدادي الأبوي»، وغير ذلك من المسميات .

النظام الأبوي الطبقي في فكر دعاة التحرر :

يعترض هؤلاء على قوامة الرجل للمرأة في البيت ، وعلى نَسَب المواليد للرجل « إلحاق المولود باسم أبيه » .

فتقول الكاتبة إقبال بركة : « نحن اليوم نعيش في ظل العصر الأبوي الذي يتحكم فيه الأب ـ أي الذكر ـ وتسود فيه قِيَمُه وعلى رأسها قِيمَة التملك ، وفي سبيل التملك فإن الذكر مستعد لأن يستخدم العنف للاستحواذ على كل ما يرغب في تملكه من أرض أو بشر . ولكي

يحميهم أيضًا ، وبدعوي حـماية ممتلكاته . . . لابد أن يفقدهم حريتهم ويتحكم في تحركـاتهم ، وهو بذلك يصادر أحلامهم لصالحه ويسـتثمر إمكاناتهم ليزيد من تراكم ثروته » (١) .

وتقول د . سامية الساعاتي : « وتشترك الثقافة الذكورية «الأبوية ـ البطريركيـة» في إعطاء أولوية تكاد تكون مطلقـة للرجل « الذكـر» مع تهمـيش دور المرأة وعدم الاعـتداد ، أو على الأقل الـتهوين مـن شأنه وفاعليته في حياة المجتمع ، لذلـك يتم تنشئة أعضاء المجتمع وأفراده ، منذ البـداية ومنذ الميـلاد ، وسنوات الطفـولة المبكرة ، على تقـبل هذه التفرقـة والعمل بمقتضاها ، ويعـد عنصر التقبل عامـلاً هامًا في ترسيخ قيم الذكورة والمبادئ التي تقوم عـليها هذه القيم . . . ذلك لأن الذكر ـ في المجتمع الأبوي والـثقافة الذكورية ـ هو الذي يحـمل اسم العائلة ، ويحافظ بالتالي على وجودها ، واستمرارها ، وذلك علي العكس من الأنثى التي ســوف تنتقل في آخـر الأمر بالزواج إلى عائلـة أخرى لكي يحـمل أبناؤها اسم تلك العـائلة ، أي إن القـوة الإنجـابيـة للأنثى من نصيب عـائلة زوجها ، بينمـا تحرم منها عائـلتها هي العاصـية، إلا إذا تزوجت من أحد أقاربها العاصبين مثل ابن العم » (٢) .

وتقـول د. نوال الســعـدواي عن ذلك « اختــفي اسم الأم في

(١) إقبال بركة : خواطر رمضانية ص ١٩ ، ٢٠ ـ دار الطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٠م.
(٢) د. سامية السـاعاتي : علم اجتماع المرأة ص٢٩٨ ، ٢٩٩ .

المؤسسات الجديدة التي نشأت مع النظام الطبقي الأبوي ، إنها مؤسسات الدولة والعائلة ، فقدت الأم أهميتها وحقها في منح اسمها لأطفالها أو جنسيتها أو دينها أو لغتها ، تحولت المرأة إلى أجيرة بلا أجر تعمل في البيت»[(١)] .

هذا ، وقد سبق الجميع قاسم أمين [(٢)] ، حيث أشار إلى هذا النظام دون ذكر اسمه « النظام الطبقي الأبوي» فقال : « كانت الإنسانية في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي».

الحلم بحكم النساء للعالم « عودة النظام الأمومي » :

يحلم بل ويعمل الكثير من دعاة التحرر لتحقيق هذا الحلم الكبير ـ والذي أتنبأ بهلاك العالم قبل تحقيقه ـ وهذا الحلم هو عودة العصر الأمومي وقد أجادت إقبال بركة التعبير عن هذا الحلم فقالت : « أحلم بعودة العصر الأمومي لو أن هذا العالم يعيش بقلب أم لتغيرت صورته تمامًا . لو احتلت أمهات عروش الدول ومقاعد الرئاسة بها .

وتصدرت المجالس البرلمانية والمحاكم والوزارات والهيئات . .

ولو أن الدساتير والقوانين كتبتها أمهات ، لكنا اليوم نعيش حياة جد مختلفة .

---

(١) د. نوال السعداوي : توأم السلطة والجنس ص٥ نقلا عن « كتابنا تحرير المرأة بين الشريعة الإسلامية ودعوة قاسم أمين ، مكتبة الوفاء بالمنصورة .

(٢) قاسم أمين فى كتابه المرأة الجديدة .

ولقـد حدث هذا في يوم من الأيام . . تـلك الحقـبة من التـاريخ البعيد التي يطلق عليها علماء الأنثروبولوجيا اسم العصر الأمومي . . أي العصر الـذي كانت تتحكم فيـه الأمهات . . فالأم كانت رأس القـبيلة والحاكمة بأمرها . تقود الحياة وتصدر القرارات .

ولاشك أن ذلك العصر كان عـصرا ذهبيا . . فالأم بطبيعتـها غير قادرة على الشر ، وهي لا تـفكر في نفسها بقدر مـا تفكر في أبنائها . فهي تعـيش من أجلهم ولا ترى السعادة إلا في عـيونهم ، وهي تعطي بلا حساب ولا تنتظر الجـزاء ، وعواطفها ـ سبحـان الله ـ تقسم بالعدل والقسطاس بين أبنائها جميعًا . قد تزداد حنوا على الصغير وعطفا على المريض وشوقـا إلى الغائب ـ (صغـيرهم حتـى يكبر ومريضـهم حتي يشفى وغائبهم حتى يـحضر) ولكن ما أن يتساووا جميعًـا أمامها حتى تتفتت نفسـها بين جوانحها حبا لهم جميعًا بلا استثناء .

ولا شك أن العصر الأمـومى في التاريخ البعيد كـان يتسم بالبراءة والطهـر والمرح ، فـتلك صـفـات الأبناء الذين يغـمـرهم حب الأمن ويدفئهم حـضنها ولنتأمل برهة مجتمـع النحل الذي تـسيطر عليه الأم ـ الملكة ـ لنرى كيف يتفانى الجمـيع في العمل ويتسابق إلى العطاء وكيف تسود بينهم روح الوئام والنظام .

ولكن لا أحب لمجتمعنا البـشري أن يصبح صورة طبق الأصل من مجـتمع النحل ، لأن النحل يطرد الذكور ولا يطيق وجـود الدبابير في خلاياه . أما نحن البشر فلا يمكن أن نـستغني عن آبائنا ، والحياة تصبح

بلا طعم إن حرمت أي جماعة من الجنس الآخر . .

إن المرأة في حاجة إلى الرجل والرجل لا يمكن أن يعيش بدون المرأة. وعندما أحلم بأن تسود العالم روح الأمومة فإن هذا لا يعني مطلقًا أني أحلم أيضًا باختفاء الآباء . إنما أحلم بانتهاء العصر الأبوي. . أي الذي الذي تتحكم فيه وتسيطر عليه عقلية الذكور .

وهذا هو العصر الذي نعيشه منذ آلاف السنين ، بعد انقضاء العصر الأمومي .

نحن اليوم نعيش في ظل العصر الأبوي الذي يتحكم فيه الأب ـ أي الذكر ـ وتسود فيه قيمه وعلى رأسها قيمة التملك ، وفي سبيل التملك فإن الذكر مستعد لأن يستخدم العنف للاستحواذ على كل ما يرغب في تملكه من أراض أو بشر ، ولكي يحميهم أيضًا. وبدعوى حماية ممتلكاته ـ من أشياء وبشر ـ فإن رئيس القبيلة الذكر ـ لابد أن يفقدهم حريتهم ويتحكم في تحركاتهم وهو بذلك يصادر أحلامهم لصالحه ويستثمر إمكاناتهم ليزيد من تراكم ثرواته . إن رئيس القبيلة الأب أو القائد السياسي كان يستأثر بالحرية ويضن بها على كل الآخرين من أتباعه نساء ورجالا ـ تحت دعاوي مختلفة .

من هنا نشأت الأحقاد ، ونمت في الصدور ثم انفجرت كصراعات وحروب . ومنذ أن بدأ العصر الأبوي في التاريخ البشري والجماعات الإنسانية في حروب لا تنتهي : حروب أهلية ودينية وعقائدية وحدودية

وعرقية وطائفية .. إلخ ..

وما زلنا نتابع حتى اليوم أخبار تلك الحروب في أنحاء عديدة من العالم . وما زلنا لا نعرف متى تنتهي ومتى يتخلص بنو آدم من الرغبة في التملك والتحكم والسيطرة .

لقد جربنا العصر الأبوي لقرون طويلة . وها هي النتيجة نراها في كل مكان : حروب وصراعات طويلة .. ألف مبرر لكي يشهر الإنسان سلاحه في وجه أخيه الإنسان ويسلبه حريته وأمنه وسعادته .. فالذين يتقاتلون في أفغانستان ويحيلون حياة المواطنين في كابول إلى جحيم .. رجال ، والذين قتلوا المسلمين في البوسنة دون أن يفرقوا بين الطفل والمرأة والشيخ ووجهوا صواريخهم إلى سوق تجارية لا علاقة لها بالحرب .. رجال . والذين اقتحموا المسجد في الخرطوم وأطلقوا رشاشاتهم على مواطنين سودانيين عزل ... رجال . والسفاح الذي أطلق مدفعه على المصلين في المسجد الإبراهيمي بالقدس وقتل العشرات وجرح المئات .. رجل .

وعشرات الأمثلة لرجال تلوثت عقولهم بأحلام التملك والسيطرة وتخضبت أيديهم بدماء الأبرياء ، وأمثلة قليلة لنساء أصبن بعدوى التفكير والتصرف الذكري الأبوي ، ورحن يشاركن الرجال في السياسة ويتبعن قواعدها في الصراع على السلطة والسعي إلى التحكم في عباد الله .. مبتعدات تماما عن روح الأمومة وقيمها الراقية .

كل هذا يجعلني أبتهل إلى الله العلي القدير أن ينهي عصر التحكم الذكري في العالم - ويعيد إلينا العصر الأمومي - بكل ما فيه من حب وزهد وعطاء . . وصدقوني ، وقتها ستصبح الحياة علي ظهر كوكب الأرض مختلفة جداً . . » (١) .

وإننا لنرد على حلمها التي تظنه جميلا ، بواقع حقيقي مرير أثبته التاريخ وأيده العلم فنقول :

لقد زكت الكاتبة عصر سيادة المرأة على الرجل الذي أسمته العصر الأمومي ووصفته بصفات عديدة ، العصر الذهبي ، عصر البراءة والطهر والمرح .

والواقع أن هذا العصر كان عصر الهمجية والوحشية ، والتخلف الفكري والعقائدي والاجتماعي ، وكانت صراعات الرجل الذكر ضد حيوانات الطبيعة حين كان يحاول صيدها ليقتات بها ، قد تؤدي إلى فقد الكثير من الرجال لحياتهم ، كما أن حروب ومنازعات الرجال للحصول على النساء أدى إلى فناء الكثرين ، فكان الرجل يخرج وربما لا يعود لمنزله ، فسادت النساء ، ليس لأنهن يستحققن ذلك ولكن لأنهن الباقيات والأطول عمراً وإعماراً للبيت ، ومع ذلك كانت الكلمة والسيادة للرجل ، فكان هو القوي العزيز المهاب ، أما المرأة فكانت سيادتها - حسب قول الكاتبة - لبقائها مدة أطول في البيت ، ولنسب

---

(١) إقبال بركة : خواطر رمضانية ص١٨ - ٢١ .

الأطفال إليها حيث إن بقاء الرجال أحياء لمدة طويلة كان نادر الحدوث ، فالمرأة سادت نسبيا في عصر التخلف والوحشية لا في عصر التقدم والبراءة والطهر والمرح .

لقد تمنت الكاتبة أن يحيا الإنسان حياة النحل المنظمة حيث الملكة هي الأميرة المطاعة ، ولكنها لم تتمن أن يكون المجتمع صورة طبق الأصل من مجتمع النحل ، لأن النحل ـ حسب قولها ـ يطرد الذكور ، والواقع أن ملكة النحل هي أكبر إرهابية في عالم الأحياء فكل الذكور مهما بلغوا الآلاف يتقاتلون للفوز بها ، ثم من يتزوجها ويفوز بها فليس له سوى الموت !! كما أن الادعاء بأن عصر حكم النساء لأنهن أمهات هو عصر السلام والوئام والمحبة فهو ادعاء عار تمامًا من الحقيقة فقد أثبت التاريخ أن كل من ملك وحكم من النساء ، ملكن وحكمن إما من خلف رجل أو في ظل رجل أو من خلال رجل ومن بلغ منهن الحكم ووصل كان التآمر هو طريقه وإن اختلفت الطرق ، فدهاء المرأة ناعم وتآمرها خفي ، فاستعملت السم والخنق في إزاحة الخصوم بدلاً من السيف والرمح ، ولم تمانع في استعمال فرجها لبلوغ هدفها . وإليك أمثلة تاريخية :

شجرة الدر :

جارية مملوكة تزوجها الملك الصالح أيوب ومات عنها أثناء الحملة الفرنسية علي مصر ، فكتمت الخبر حتى انتصرت بفضل رجال مصر المخلصين وقادة زوجها المتوفي ، فهي حاربت بجيوش سبق إعدادها .

ثم تزوجت القائد الجديد الذي اختاره الجيش للحكم حتى تظل تحكم مع سلطان من خلاله .

أكلتها الغيرة القاتلة كشأن كل النساء عندما علمت أن زوجها الجديد « عز الدين أيبك » سيتزوج بأخرى . تآمرت عليه وقتلته في الحمام (١) .

انتقمت منها زوجته السابقة « أم علي » وقتلتها شر قتلة ، تلك الجريمة التي لن ينساها التاريخ لندرتها وبشاعتها ، حيث أمرت ضرتها باغتصابها حية وميتة . وألقت بجثتها من فوق سور القلعة .

وهكذا نرى أن الغيرة قتلت ملكة والطمع في الملك سبق أن قتلها وهذا هو حال النساء .

الملكة باد شاه :

« ملكة مغولية . . تزوجت بعد ترملها أحد أبناء زوجها السابق لتصل للملك ـ عادات المغول تسمح بذلك ـ وقتلت أخاها من الأب خنقًا » (٢) .

ست الملك :

إحدى أجمل الأميرات الفاطميات . . في سن مبكرة أشركها أبوها

---

(١) فاطمة المرنيسي : سلطانات منسيات ص ١٠ ، ترجمة : فاطمة الزهراء ـ المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

(٢) المرجع السابق ص١٥٤ .

في الحكم حيث كان يأخذ رأيها ويشجعها على إبدائه استحوذت على السلطة بعد أن نظمت عملية اختفاء أخيها الحاكم بأمر الله ، وسبق أن هددها أخوها الحاكم بقتل عشاقها المفترضين بالموت (١) .

وتقول فاطمة المرنيسي عن وسائل النساء في الحكم :

« وما إن حصلت النساء علي السلطة حتى مارسن قطاعات يحسدهن الرجال عليها ، معتمدات على نفس التبرير السياسي المقنع قبل اكتشاف الانتخابات ، أي القوة الشرسة ، وكما هو الشأن لدى الرجال مارست النساء الاغتيال السياسي حين تدعو إليه الحاجة ، معتمدات على وسائل أكثر قساوة ، كالخنق أو دس السم عوض القتل بالسيف » (٢) .

فهل بعد هذه الحقائق التاريخية ما تزال إقبال بركة وأمثالها يحلمن بحكم المرأة للعالم ؟!

إن الادعاء بأن رقة المرأة وأنوثتها يجعلها أقل ارتكابًا للجرائم بالنسبة للرجل ، هو ادعاء باطل ولو ترك للمرأة الفرصة لطغت إجراميًا عن الرجل ، ولذلك فتحرر المرأة أدى إلى زيادة جرائمها، وسنعرض في إيجاز لبعض خصائص جرائم النساء.

جرائم النساء :

يرى كثير من علماء الجريمة ، وأيضًا علماء الاجتماع أن جرائم

---

(١) سلطانات منسيات : ص ٢٤٣ ، ٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣ .

النساء في الواقع تزيد كثيراً عما يُعلم ، ويعرف للسلطات ، كما أن هناك جرائم بشعة خاصة بالنساء ،وجرائم أخرى يشتركن فيها مع غيرهم ، والنساء الخارجات على القانون أقل تعرضاً للمساءلة القانونية والقبض عليهن ، وكذلك يلقين معاملة أفضل في الإجراءات التي تتخذ ضدهن ، وتقول د . سامية الساعاتي :

« جرائم النساء أكثر احتجاباً عن جرائم الرجال :

يقول بولاك « Pollack » : من الواضح إن إجرام النساء أقل ذكراً في التقارير ، وبالذات بالنسبة لبعض الجرائم مثل السرقة خاصة التي ترتكبها البغايا والسرقات التي ترتكبها الخادمات ، والإجهاض ، والجرائم التي ترتكب بالنسبة للأطفال ، والقتل . . والشذوذ الجنسي ، والفعل الفاضح العلني التي لا تقدم للمحاكمة إذا ارتكبتها امرأة.

كما أن النساء المجرمات يتلقين الحماية من الرجال ، حتي ولو كانوا ضحاياهن ، فهم يكونون أقل ميلاً إلى الشكوى للسلطات .

والحقيقة أن النساء في الغالب المحرضات على الجرائم التي يرتكبها الرجال ، وبهذه الصفة فإنه يصعب اكتشافهن وقد لاحظ « بولاك» وجود جرائم عديدة يرتفع عادة عدد ما يكشف عنه منها بالنسبة للرجال، في حين تنخفض عددها بالنسبة للنساء ، لأن أدوراهن كربات بيوت ، ومربيات للأطفال ، وممرضات ، وزوجات ، وعشيقات ، وغير ذلك تسمح لهن أن يرتكبن الجرائم وأن يخفينها عن السلطات العامة، مثال التسمم البطيء للزوج ، والمعاملة السيئة للطفل . فضلا عن حقيقة مقررة . . وهي أن أغلب ضباط الشرطة وكذلك القضاة

والمحلفين يكونون أكثر مرونة ورقة نحو النساء مما هم نحو الرجال . .

إن إجرام النساء إنما هو إجرام خفي ومقنع إلى درجة كبيرة ، وترتيبًا على ذلك فإن الإحصاءات الرسمية والسجلات الخاصة بجرائم الإناث تكون أقل تعبيرًا عن الحقيقة بسبب العوامل سالفة الذكر» (١).

في « النصب والاحتيال يستخدمن الدهاء والحيلة .

في القتل : القتل بالسم هو الأسلوب الرئيسي للقتل الذي تستخدمه النساء واستخدام الزرنيخ يليه السيانيد ثم كلوريد الزئبق . . إن جرائم النساء يمكن أن تندرج في عداد الجرائم الخفية . . وهو ما يتفق مع الطبيعة المقنعة . . لجرائمهن .

وهناك عدد آخر من الأطفال الذين ماتوا بطريقة غامضة وهم في رعاية مربيات الأطفال ، أو النساء اللاتي أنجبن بلا زواج .

ومن جرائم الاعتداء الخطيرة نوع خاص ترتكبه المرأة ، وهو إلقاؤها ماء النار في وجه الضحية .

وهناك جرائم اختلاق اعتداءات زائفة ذات طبيعة جنسية فتدعى أنها اختطفت أو هوجمت ، في حين أنها كانت متفاهمة وراضية بالاعتداء عليها» (٢) .

وهكذا نجد أن النساء لسن ملائكة أو جنسًا أسمى من الرجال .

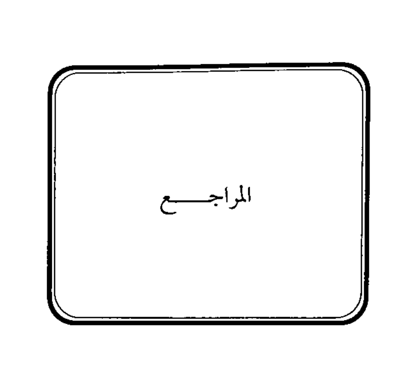
---

(١) المرجع د. سامية الساعاتي : علم اجتماع المرأة ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) علم اجتماع المرأة ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

وأن مطالب دعاة التحرر لسيادة المرأة وتملكها وحكمها للعالم ضد طبيعة الكون السوية ، فحتى عالم الحيوان الحكم فيه للذكر ، وصدق تعالى حيث قال : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الانعام:١١٩] .

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون :٧١] .



المراجـــــع

المراجــــع

١ ـ القرآن الكريم .

إقبال بركة : خواطر رمضانية .القانون ١٢ لسنة ١٩٩٦ .

الزبيدي طبعة دار المعارف .مختار الصحاح .

قاسم أمين : المرأة الجديدة .

د. سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة .

فاطمة المرنيسى : سلطانات منسيات : ترجمة فاطمة الزهراء ـ المركز الثقافى العربى . ط الأولى سنة ٢٠٠٠م .

فريدة النقاش : حدائق النساء .

٨ ـ محمد رشيد العويد : من أجل تحرير حقيقى للمرأة .

٩ ـ محمد فريد وجدى : موسوعة القرن العشرين .

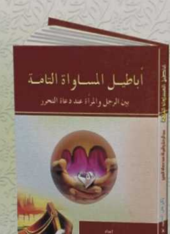
د. نوال السعداوى : قضايا المرأة ،الأنثى هى الأصل، المرأة والجنس . توأم السلطة والجنس ، دار المستقبل العربى طبعة ١٩٩٩.



فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع الصفحة





توزيع

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة: شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص.ب: 230
ت: 2256220 / 2256230 - فاكس: 2260974 / 050
المكتبة: أمام كلية الطب 2249513 / 050
E-Mail: DAR ELWAFA@HOTMAIL.COM